قصة الذبيح
تأملات وهدايات

د ٠ عبدالله هاشم سعد الشريف(*)

المقدمة :

الحمد لله جعل كتابه نورا وهدى للناس، ونزهه من النقص والزيادة والالتباس، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أطهر الخلق وخير الناس، وعلى آله وأصحابه السادة الأكياس، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد: فإن القصص القرآني أخذت مساحة واسعة من القرآن الكريم ، وعرضت بأساليب متنوعة حسب ما يقتضيه الحال ، وأكثر هذه القصص كانت عن صفوة عباد الله من أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام ، وذلك لما في قصصهم من الدروس والعظات والعبر ، قال تعالى بعد أن حكى قصة نبيه يوسف عليه السلام: { **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** } **[يوسف : ١١١]**.

وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقص القصص فقال: { **فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** } **[الأعراف : ١٧٦]**، ولما سئل أبو القاسم الجنيد – رحمه الله تعالى – عن حكايات الصالحين قال : هي جند من جنود الله تعالى، يقوّم بها أحوال المريدين ، ويحيي بها معالم أسرار العارفين، ويهيج بها خواطر المحبين، ويجري بها دموع المشتاقين ، قيل : فهل على ذلك من دليل قال :

(*) الأستاذ المساعد– قسم الدراسات القرآنية بجامعة طيبة بالمملكة العربية السعودية.

نعم قوله تعالى:{**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ** } **[هود:١٢٠]** (١).

وقصص الأنبياء عموما حرية أن يقف العالم وطالب العلم معها وقفة المتدبر المتأمل ليستلهم هداياتها وعبرها وعظاتها ، ويستفيد منها في حياته ، ويفيد غيره ، وقد أمر صفوة الخلق صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بهداهم بعد الإخبار عن منته عليهم بإيتائهم الكتاب والحكم والنبوة ، فباتوا حريين بالقدوة بهم قَالَ تَعَالَى: **{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ } [الأنعام : ٩٠]** وأبو الحنيفية إبراهيم الخليل عليه السلام أولى من يقتدى به ، لما له من بروز في القرآن الكريم في تقرير توحيد الربوبية والألوهية ، ولما امتن الله به عليه من الإمامة في الدين ، بعد تلك البلاءات الكثيرة من الأوامر والنواهي التي تنوء بحملها الجبال الرواسي ، فوفى بها على أحسن وجه وأكمله ، قال تعالى **{ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا } [**البقرة: ١٢٤**]** وقال**{ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى } [النجم : ٣٧]** وقال سبحانه : **{ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ }** [الصافات :٨٣،٨٤] أي من شيعة نوح عليه السلام بسيره على دينه ونهجه ، حين جاء ربه بقلب سليم من كل شائبة تدنسه وفي مقدمتها الشرك بالله تعالى ، وما من شك أن من أشد ما ابتلي به الخليل عليه السلام – إن لم يكن أشدها بلاء – ما أمر به من ذبح ابنه وفلذة كبده ، ومباشرته ذلك بنفسه ، حتى قص الله تعالى قصة هذا الامتحان العظيم ، وأعقبه بما منّ الله تعالى عليه من السلام والثناء العاطر الباقي إلى يوم الدين ، ولذا اخترت هذه القصة التي طالما استوقفتني كثيرا وهزت وجداني لأقف مع آياتها، وأبرز من خلالها الجوانب الإيمانية والآداب الكريمة للأب الصالح وللابن البار مع التحقيق في تعيين الذبيح من خلال الأثر والنظر ، وقد انتظمت خطة البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرس المراجع والموضوعات.

خطة البحث

مقدمة البحث :

***المبحث الأول** : تفسير الآيات تفسيرا تحليليا مع إبراز بعض النكات النافعة.

***المبحث الثاني** : أقوال العلماء في تعيين الذبيح وحججهم والراجح منها، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : القائلون بأنه إسماعيل وحججهم.

المطلب الثاني : القائلون بأنه إسحاق وحججهم.

المطلب الثالث : مناقشة الأقوال وبيان الراجح منها.

***المبحث الثالث :**

الجوانب الإيمانية والأخلاقية البارزة من خلال آيات القصة وغيرها من الآيات القرآنية التي تحدثت عن هذين النبيين الكريمين ، وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول : الانقياد والتسليم.

المطلب الثاني : الحلم.

المطلب الثالث : الصبر.

المطلب الرابع : التوكل.

المطلب الخامس : الدعاء.

المطلب السادس : الإحسان.

المطلب السابع : الصدق.

الخاتمة.

فهرس المراجع.

المبحث الأول

تفسير الآيات تفسيرا تحليليا مع إبراز بعض النكات النافعة

قال تعالى: [فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٤) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (٩٨) وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١)].

قبل أن نشرع في تفسير الآيات المعنية بالقصة لابد أن نشير إلى الرابط الذي يربطها بما قبلها من الآيات ، والسياق الذي جاءت فيه ، فبداية القصة هو قوله تعالى: (**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ**)، فهي إذن معطوفة على شيء قبلها وهو قصة تحطيم الخليل لأصنام قومه [٢]، ومن ثم كان ذلك القرار الأثيم- بحرقه وإلقائه في نار عظيمة انتصارا لآلهتهم [٣]، فنجاه الله تعالى من كيدهم وأبطله بتلك المعجزة الخالدة بأن جعل النار عليه بردا وسلاما [٤]، فكانت عاقبة أمرهم خسرا ، وهذه المحاولة بإعدامه عليه السلام لم تكن في زمن مبكر من دعوته، بل وقعت بعد مكوثه فيهم زمنا ليس بالقليل ، وهو يدعوهم إلى الله تعالى، وقد برهن لهم على وحدانيته عز وجل بالبراهين الساطعة والأدلة

القاطعة ، وجرت له محاورات كثيرة على مستوى الأفراد مثل حواره مع أبيه [٥] وحواره مع النمروذ [٦] ، وعلى مستوى الجماعة [٧] ، فلم يجد منهم إلا العناد والاستكبار والمحادة والنفور ، فتقرر عنده بعد تلك المعجزة التي شاهدها قومه – وهي إنجاؤه من النار – وإصرارهم على الكفر ، أن أرض قومه غير صالحة أن تنبت نباتاً حسناً بعد ذلك الجهد الجهيد ، وأن المصلحة تقتضي الهجرة والبحث عن أرض أخرى تصلح لدعوته وتقبل هدى الله الذي جاء به ، قال الرازي : " لَمَّا بَالَغَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْإِرْشَادِ وَلَمْ يَهْتَدِ قَوْمُهُ، وَحَصَلَ الْيَأْسُ الْكُلِّيُّ حَيْثُ رَأَى الْقَوْمُ الْآيَةَ الْكُبْرَى وَلَمْ يُؤْمِنُوا وَجَبَتِ الْمُهَاجَرَةُ، لِأَنَّ الْهَادِيَ إِذَا هَدَى قَوْمَهُ وَلَمْ يَنْتَفِعُوا فَبَقَاؤُهُ فِيهِمْ مَفْسَدَةٌ لِأَنَّهُ إِنْ دَامَ عَلَى الْإِرْشَادِ كَانَ اشْتِغَالًا بِمَا لَا يُنْتَفَعُ بِهِ مَعَ عِلْمِهِ فَيَصِيرُ كَمَنْ يَقُولُ لِلْحَجَرِ صَدِّقْ وَهُوَ عَبَثٌ أَوْ يَسْكُتُ وَالسُّكُوتُ دَلِيلُ الرِّضَا فَيُقَالُ بِأَنَّهُ صَارَ مِنَّا وَرَضِيَ بِأَفْعَالِنَا ، وَإِذَا لَمْ يَبْقَ لِلْإِقَامَةِ وَجْهٌ وَجَبَتِ الْمُهَاجَرَةُ " [٨].

ويهاجر الخليل عليه السلام ويخرج من أرض قومه أرض السوء قال تعالى عن تلك الهجرة :**{وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }** **[العنكبوت :٢٦]**.

وقال عز وجل هنا: **وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩)**، والظاهر أن هذا القول قاله علنا في قومه ليكفوا عن أذاه [٩]، وعبر عن هجرته من أرض قومه إلى الأرض الجديدة بقوله: **[إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي]** أي مهاجر حيث أمرني ربي بالذهاب إليه لأعصم ديني وأعبده وحده [١٠]، وأدعو إلى سبيله، وهذه الهجرة نفسية قبل أن تكون هجرة مكانية [١١] ، قال قتادة : ذاهب بعمله وقلبه ونيته [١٢] ، وكانت هذه الهجرة من بابل أو من حران إلى بيت المقدس [١٣]. ثم قال بكل يقين وثقة **[سَيَهْدِينِ]** أي إلى ما فيه صلاح ديني وعاقبة الرشد في أمري وسيثبتني على الهدى الذي أبصرته ويعينني عليه [١٤]، وقد جزم الخليل عليه السلام بهداية الله له ، ولم يعلقها بالمشيئة ، لسبق وعده له

بالهداية أو لفرط توكله على ربه [١٥] أو لما تعوده من ربه من عنايته به وتتابع رحمته عليه .

ومن المعلوم أن الهجرة من أرض الولادة والمنشأ شديدة على النفس مؤلمة للقلب ، لأنه سيخلف وراءه الأقارب والجيران ، وكل ما ألفه في ماضي حياته، ولذا أصبحت حاجته ماسة بعد هجرته لمن يؤنسه ويعينه على حياة الغربة، فكان منه عليه السلام اللجوء إلى الله تعالى بسؤال الذرية الصالحة ، قال مقاتل: فلما قدم الأرض المقدسة سأل ربه الولد فقال :(**رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ)** و(**مِن**) للتبعيض أي : ولداً يكون في عداد الصالحين[١٦] وحُذف – أي ولدا – لدلالة الهبة عليه ، فإنها في القرآن وكلام العرب غالب استعمالها في الأولاد [١٧] ووصفه بأنه من الصالحين؛ لأن نعمة الولد تكون أكمل إذا كان صالحاً ، فإن صلاح الأبناء قرة عين للآباء ، ومن صلاحهم برهم بوالديهم[١٨]، وقد جاء الحض على الدعاء بالذرية الصالحة التي تقر بها العين كما في قوله تعالى: **{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} [الفرقان :٧٤]**.

فاستجاب الله دعاءه وجاءته البشارة : قَالَ تَعَالَى: **{ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ }** الفاء للتعقيب ، وهذا يدل على أن البشارة بالغلام الحليم جاءت عقب دعائه ، ولا يقتضي ذلك حصول الولد له في وقت قريب ، بل ظاهر القرآن أنه وهب له على كبر كما في قوله تعالى: **{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ} إبراهيم :٣٩** ولا شك أن هذا الغلام المبشر به هو أحدهما. وهو عند خروجه من أرض قومه كان فتى كما وصفه قومه بقولهم: **{ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ }** [الأنبياء : **٦٠]** وقد جاء في معنى البشارة بأنها كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه، ويستعمل في الخير والشر، وفي الخير أغلب ، والبشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير وإنما

تكون بالشر إذا كانت مقيدة كقوله تعالى: ﴿ **فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ **[الانشقاق: ٢٤]** (١٩) قال الزجاج : هذه البشارة تدل على أنه غلام ، وأنه يبقى حتى يوصف بالحلم (٢٠) والحليم : من لا يعجل في الأمور ، ويحتمل المشاق ولا يضطرب عند إصابة المكروه، ولايحركه الغضب بسهولة (٢١)، وليس من حلم أعظم من تلقيه لخبر ذبحه بهذا الثبات ورباطة الجأش التي لا تكون إلا من الخلص من العباد .وهذا الوصف لهذا الغلام بـــ(الحليم) تمهيد للقصة التي يثبت بها حلمه بما لم يكن في الحسبان ، قال تعالى عن هذا الغلام الحليم : { **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** }.

قوله تعالى : **{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ}** أي فلما شب وأدرك وبلغ أن يتصرف مع أبيه ويعينه على عمله وأشغاله وحوائجه(٢٢)، وقال ابن زيد:هو السعي في العبادة (٢٣)، قال ابن عباس : صام وصلى ألم تسمع الله عزوجل يقول : **{وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا } [الإسراء : ١٩]**(٢٤)، ولا منافاة بين القولين فإن من بلغ مبلغا يتصرف فيه مع أبيه ويعينه فلا شك أنه مأمور بالعبادة ومكلف بها ، وقد قال أهل التفسير : كان له يومئذ ثلاث عشرة سنة (٢٥).

و(مَعَ) ظرف للسعي ، وهي تدل على معنى الصحبة ، وتعلقها بمحذوف دل عليه المذكور وهو السعي وليست متعلقة به ، لأن صلة المصدر لا تتقدمه ، ولا بـــ (بلغ) فإن بلوغهما لم يكن معا ، كأنه قال : (فلما بلغ السعي) قيل مع مَن ؟ فقيل : معه ، والفائدة في اعتبار هذا المعنى وتخصيصه هو أن الأب أكمل في الرفق والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل أوانه ، وأما غيره فربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله ، لأنه لم تستحكم قوته (٢٦).

{ قَالَ يَا بُنَيَّ } خطاب من الخليل عليه السلام لابنه بهذا الخطاب الجميل على سبيل التلطف والترحم، **{إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ }** فالخليل عليه السلام رأى في منامه ذبح ابنه، قال مقاتل: رأى ذلك إبراهيم ثلاث ليال

متتابعات [٢٧]. وعرض عليه ما رآه في المنام ، لأن رؤيا الأنبياء وحي وحق، كالوحي في اليقظة ، وهم ليسوا مثل غيرهم يتلاعب بهم الشيطان في منامهم . قال ابن عباس : رؤيا الأنبياء وحي [٢٨].

قال قتادة : رؤيا الأنبياء حق، إذا رأوا في المنام شيئا فعلوه [٢٩]، وقال عبيد بن عمير : رؤيا الأنبياء وحي ثم تلا هذه الآية { **إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ** } [٣٠]، ومما اشتهر عن المفسرين أن إبراهيم رأى ليلة التروية في منامه كأن قائلا يقول لَهُ : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ بِذَبْحِ ابْنِكَ هَذَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ تَرَوَّى فِي ذَلِكَ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الرَّوَاحِ، أَمِنَ اللَّهِ هَذَا الْحُلْمُ أَمْ مِنَ الشَّيْطَانِ؟ فَمِنْ ثَمَّ سُمِّيَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ، فَلَمَّا أَمْسَى رَأَى مِثْلَ ذَلِكَ، فَعَرَفَ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ فَسُمِّيَ يَوْمَ عَرَفَةَ، ثُمَّ رَأَى مِثْلَهُ فِي اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ فَهَمَّ بِنَحْرِهِ فَسُمِّيَ يَوْمَ النَّحْرِ [٣١] ، وهذه الآثار تدل على أنه عليه السلام أمر في نومه بذبحه فعبر هو ذلك ، أي إني رأيت في النوم ما يوجب أن أذبحك [٣٢] ويحتمل أنه رأى في المنام أنه فعل ذبحه فحمله على ما هو الأغلب في رؤيا الأنبياء عليهم السلام من وقوعها بعينها [٣٣] .

وقد يقول قائل ما السر في ورود هذا التكليف مناما لا يقظة ؟ قيل : لعله من أجل أن تكون المبادرة إلى الامتثال أدل على كمال الانقياد والإخلاص[٣٤] .

فإذا كان هذا حاله في طاعة ربه وامتثال أمره بالوحي إليه في منامه بمثل هذا التكليف الشاق جداً على النفس ، فكيف سيكون حاله في الطاعة والاستجابة في حال الوحي إليه في اليقظة .وجاء التعبير بصيغة المضارع في الموضعين { أَرَى }{**أَذْبَحُكَ** } مع أن الرؤيا قد مضت، والأمر فيها بالذبح قد انقضى ، لاستحضار الصورة الماضية لنوع غرابة، أو لتكرر الرؤيا وتكرر الذبح فيها [٣٥] إن صح أنه رأى ثلاث ليال متتابعات، والله أعلم .

ولما عرض الخليل ما رآه في منامه من الذبح لابنه قال له : { **فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى** } أي ماذا ترى من الرأي ؟ [٣٦]، وفي قراءة (ماذا تُرِي)[٣٧]، أي ماذا

تشير به وماذا تريني من صبرك أو جزعك من الذبح [٣٨] . والخليل عليه السلام ماضٍ لما أمره ربه من الذبح ، وإنما شاوره ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله ، فيثبت قدمه إن جزع ، ويأمن عليه إن سلّم وصبر ، وتقر به عينه ، وليوطن نفسه عليه فيهون ، ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله [٣٩]، وبعد تلك المشاورة من الخليل لابنه كان الرد منه : **{يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ }** ، ولما كان خطاب الأب **{يَا بُنَيَّ }** على سبيل الترحم قال هو **{يَا أَبَتِ }** على سبيل التوقير والتعظيم [٤٠] ، وجاء الجواب منه بلا تردد : افعل ما تؤمر به من ربك من ذبحي ، ستجدني إن شاء الله من الصابرين على هذا البلاء والقضاء،قال الألوسي : وهذا الكلام يقتضي تقدم الأمر وهو غير مذكور ، فإما أن يكون فهم من كلامه عليه السلام أنه رأى أنه يذبحه مأمورا أو علم أن رؤيا الأنبياء حق وأن مثل ذلك لا يقدمون عليه إلا بأمر [٤١] .

وجاء التعبير بصيغة المضارع { **مَا تُؤْمَرُ** } للدلالة على أن الأمر متعلق به متوجه إليه مستمر إلى حين الامتثال به [٤٢]، وقيل : لأنه لم يكن بعد أمر ، وإنما كانت رؤيا الذبح فأخبره بها ، فعلم – لعلمه بمقام أبيه وأنه ممن لا يجد الشيطان سبيلا بإلقاء الخيالات الباطلة إليه في المنام – أنه سيكون ذلك ، ولا يكون إلا بأمر إلهي فقال له : افعل ما تؤمر بعد من الذبح الذي رأيته في منامك [٤٣].

وفي قوله: **{ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ }** – تعليق لصبره بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى سَبِيلِ التَّبَرُّكِ وَالتَّيَمُّنِ، وَأَنَّهُ لَا حَوْلَ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَّا بِعِصْمَةِ اللَّهِ ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ [٤٤]، وفي التعبير بقوله : **{ مِنَ الصَّابِرِينَ }** دون (صابرا) نوع تواضع ، حيث لم يفرد نفسه بالصبر وإنما جعلها من جملة الصابرين . وبعد سماع الخليل – عليه السلام – لجواب

ابنه سارع لتنفيذ المهمة المأمور بها ، وكان ابنه على استعداد تام للذبح قال تعالى عنهما :

{ فَلَمَّا أَسْلَمَا } أي أسلما أمرهما لله ، وفوضاه إليه ، واستسلما وانقادا ، ورضيا بقضائه (٤٥)، وقال قتادة : أسلم هذا نفسه لله وأسلم هذا ابنه لله (٤٦) .

وقال ابن كثير: أي فلما تشهدا وذكرا الله ، إبراهيم على الذبح والولد على شهادة الموت (٤٧)، وأصلها من قولك : سلم هذا لفلان إذا خلُص له ، أي : سَلِمَ من أنْ يُنازِع فيهِ، وَحَقِيقَةُ مَعْنَاهَا أخلصَ نفسَه لله وجعلها سالمةً له خالصة (٤٨).

ومنه قوله تعالى : **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ}** [الزمر: ٢٩] أي خالصا له، سالما من أن ينازع فيه **{وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ}** أي صرعه وألقاه على شقه فوقع جبينه على الأرض، وهو أحد جانبي الجبهة، وللوجه جبينان والجبهة بينهما (٤٩) ، وأصل التل : الصب فاستعير للإلقاء (٥٠) وقد فعل ذلك به حتى لا يراه فتأخذه الشفقة عليه فيرق قلبه ويصرف عن طاعة الله، ومن هنا تؤخذ فائدة عظيمة وهي أن العبد المؤمن ينبغي أن يتخلص من كل صارف يصرفه عن طاعة ربه ، وفي قصة نبي الله سليمان عليه السلام ما يشهد لهذا وذلك لما تأخر عن صلاة العصر حتى غربت الشمس بسبب انشغاله بعرض الخيل فأمر بردها وقام بعقرها (٥١) .

{ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا }

يحتمل أن يكون المراد التصديق بالقلب ، على معنى كانت عندك رؤيا صادقة حقا من الله ، فعملت بحسبها حين آمنت بها ، واعتقدت صدقها (٥٢) . ويحتمل أن يكون المراد صدقت بعملك ما حصل عن الرؤيا في نفسك كأنه قال: قد وفيت حقها من العمل وبذلت وسعك في إيقاعها وذلك بالعزم على الإتيان بالمأمور به وترتيب مقدماته(٥٣)، والمعنيان متقاربان حيث تضمنا تصديق الرؤيا بالعمل المقدور عليه. وقد استنبط من هذا جواز نسخ الفعل قبل

التمكن، (٥٤) وأن حكمة التكليف مترددة بين الامتثال والابتلاء (٥٥) . وفي جواب (فلما أسلما) ثلاثة أقوال : **الأول** : أنه محذوف إيذانا بعدم وفاء التعبير بتفاصيله كأنه قيل : كان ما كان ونحو ذلك مما يقتضيه المعنى (٥٦).

الثاني : أنه قوله تعالى **{وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا}**، ومعنى الكلام فلما أسلما وتله للجبين ناديناه أن يا إبراهيم ، وأدخلت الواو في ذلك كما في قوله تعالى: **{ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا } [الزمر : ٧٣]** أي: فتحت أبوابها ، وقوله **{ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ } [يوسف: ١٥]** أي أوحينا (٥٧).

الثالث : أنه **{ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ }** والمعنى فلما أسلما تله للجبين ، وأدخلت الواو كما في القول الذي مضى (٥٨) .

والقول الأول أظهر وأبلغ قال الرازي : والفائدة فيه أنه إذا كان محذوفاً كان أعظم وأفخم (٥٩) ، وقد ذكرت بعض الآثار في هذا المقام منها ما أثر عن كعب وغيره : لَمَّا أُرِيَ إِبْرَاهِيمُ ذَبْحَ وَلَدِهِ فِي مَنَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ أَفْتِنْ عِنْدَ هَذَا آلَ إِبْرَاهِيمَ لَا أَفْتِنُ مِنْهُمْ أَحَدًا أَبَدًا. فَتَمَثَّلَ الشَّيْطَانُ لَهُمْ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ، ثُمَّ أَتَى أُمَّ الْغُلَامِ وَقَالَ: أَتَدْرِينَ أَيْنَ يَذْهَبُ إِبْرَاهِيمُ بِابْنِكِ؟ قَالَتْ: لَا. قَالَ: إِنَّهُ يَذْهَبُ بِهِ لِيَذْبَحَهُ. قَالَتْ: كَلَّا هُوَ أَرْأَفُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَ: إِنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّ رَبَّهُ أَمَرَهُ بِذَلِكَ. قَالَتْ: فَإِنْ كَانَ رَبُّهُ قَدْ أَمَرَهُ بذلك فقد أحسن أن يطيع ربه. ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ فَقَالَ: أَتَدْرِي أَيْنَ يَذْهَبُ بِكَ أَبُوكَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَإِنَّهُ يَذْهَبُ بِكَ لِيَذْبَحَكَ. قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّ رَبَّهُ أَمَرَهُ بِذَلِكَ. قَالَ: فَلْيَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، سَمْعًا وَطَاعَةً لِأَمْرِ اللَّهِ.

ثُمَّ جَاءَ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَظُنُّ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَاءَكَ فِي مَنَامِكَ فأمرك بِذَبْحِ ابْنِكَ. فَعَرَفَهُ إِبْرَاهِيمُ فَقَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي يَا عَدُوَّ اللَّهِ، فَوَاللَّهِ لَأَمْضِيَنَّ لِأَمْرِ رَبِّي. فَلَمْ يُصب الْمَلْعُونُ مِنْهُمْ شَيْئًا (٦٠). وكذلك ما أثر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :" إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا أُمِرَ بِالْمَنَاسِكِ، عَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ

عِنْدَ الْمَسْعَى فَسَابَقَهُ، فَسَبَقَهُ إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ، فَعَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، حَتَّى ذَهَبَ، ثُمَّ عَرَضَ لَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الْوُسْطَى فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، قَالَ: قَدْ تَلَّهُ لِلجَبِينِ – قَالَ يُونُسُ: وَثَمَّ تَلَّهُ لِلجَبِينِ – وَعَلَى إِسْمَاعِيلَ قَمِيصٌ أَبْيَضُ، وَقَالَ: يَا أَبَتِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِي ثَوْبٌ تُكَفِّنُنِي فِيهِ غَيْرُهُ، فَاخْلَعْهُ حَتَّى تُكَفِّنَنِي فِيهِ، فَعَالَجَهُ لِيَخْلَعَهُ، فَنُودِيَ مِنْ خَلْفِهِ: {أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا} فَالْتَفَتَ إِبْرَاهِيمُ، فَإِذَا هُوَ بِكَبْشٍ أَبْيَضَ أَقْرَنَ أَعْيَنَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا نَتْبَعُ ذَلِكَ الضَّرْبَ مِنَ الكِبَاشِ، قَالَ: ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى الْجَمْرَةِ الْقُصْوَى، فَعَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ، فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ حَتَّى ذَهَبَ" (٦١) .

وبعد ذلك النداء للخليل عليه السلام بتصديق رؤياه بفعله من إضجاع ابنه وهمّه بذبحه واستسلام ابنه لما أمر به يقول تعالى معقبا على ذلك :

{ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ }، وهو تعليل لتفريج تلك الكربة عنهما بإحسانهما والمعنى : إنا كما ذكرنا من العفو عن ذبح ولده وجزيناهما بطاعتهما لنا، نجزي من أحسن في طاعتنا بالخلاص من الشدائد في الدنيا والآخرة(٦٢)، قال مقاتل : جزاه الله تعالى بإحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه (٦٣) ثم كان الوصف لهذا الأمر الجلل بقوله : **{ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ }** أي : إن ما أمر به من ذبح ابنه لهو الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره، أو المحنة البينة الصعوبة فإنه لا أصعب منها (٦٤)، وقيل بأن البلاء المبين هنا بمعنى النعمة الظاهرة البينة (٦٥) ، ولا مانع من حملها على المعنيين فيكون في هذا امتحان عظيم بالذبح ونعمة جليلة بالإنجاء منه ، ثم جاء الفرج من الله بعد تجاوز الامتحان، **{ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ }** فدى الله تعالى الابن بذبح عظيم يذبح مكانه ، وقد اختلف في هذا الذِّبح فجاء عن علي رضي الله عنه أنه كبش أبيض أقرن أعين (٦٦)، وجاء عن ابن عباس بأنه كبش من الجنة رعاها قبل ذلك

أربعين خريفا [٦٧] ، وأنه هو الذي قربه ابن آدم فتقبل منه [٦٨] ، وقيل بأنه وعل [٦٩] ، والوعل هو تيس الجبل [٧٠]، قال ابن كثير : والصحيح الذي عليه الأكثرون أنه فدي بكبش[٧١] ، وجاء وصف الذبح بأنه (**عَظِيمٍ**) ، ولم يبين الله تعالى وجه عظمه ، فجاء الخلاف في سبب هذا الوصف، فقيل : لأنه رعى في الجنة [٧٢] وقيل : لأنه كان متقبلاً [٧٣]، وقيل لعظمه وسمنه [٧٤]، وقيل : لعظم قدره حيث قبله الله تعالى فداء عن ولد إبراهيم [٧٥] ولا تعارض بين هذه الأقوال لاحتمال أن تكون مجتمعة فيه كلها، والله أعلم

وقد استدل بعض أهل العلم بهذه الآية الكريمة على مسألتين فقهيتين :

الأولى: أن الأضحية بالغنم أفضل من الإبل والبقر كما هو مذهب مالك وأصحابه[٧٦].

ووجه الاستدلال ظاهر حيث إنه تعالى فدى إسماعيل بكبش لا بجمل ولا ببقرة ولا يختار الله تعالى إلا الأفضل والأحسن .

الثانية: أن من نذر نحر ابنه أو ذبحه فعليه أن يفديه بكبش كما فدى به إبراهيم ابنه [٧٧] ، وجاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما فقد قال فِي الرَّجُلِ يَقُولُ هُوَ يَنْحَرُ ابْنَهُ : (يَذْبَحُ كَبْشًا كَمَا فَدَى إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ) [٧٨] .

ثم جاء الثناء عليه بقوله تعالى: { **وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ** } أي : وأبقينا عليه فيمن بعده إلى يوم القيامة ثناء حسناً جميلاً فما من أمة إلا تصلي عليه وتحبه [٧٩]. ويشهد لهذا المعنى ما دعا به ربه جل وعلا بقوله: { **وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ** } **[الشعراء: ٨٤]**، { **سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ** } أي : أمنة من الله في الأرض لإبراهيم أن لا يذكر من بعده إلا بالجميل من الذكر [٨٠]، وقيل بأنه تفسير لما قبله في قوله تعالى: { **وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ** } ، والمعنى أن ما تركه الله عليه في الآخرين من الذكر الحسن هو السلام عليه[٨١]. { **كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** } هذه الآية متعلقة بما قبلها من المنة الإلهية عليه، ففيها إشارة إلى إبقاء ذكره الجميل فيما بين الأمم في قوله تعالى : { **وَتَرَكْنَا**

عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ } والمعنى أن إبقاء ذكره الحسن ودوامه كان جزاء إحسانه في الطاعة لربه ، وكما جزينا إبراهيم بهذا ، نجزي كل من أحسن في عمله بأن يذكر بجميل الصفات .وقيل في سبب حذف (إنا) المذكورة في الآية التي سبقتها وهي**{ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ }** هو المبالغة في دفع توهم اتحاده معها ، وقد سيقت تعليلا لجزاء إبراهيم وابنه عليهما السلام ، وهذه سيقت تعليلا لجزاء إبراهيم وحده مما تضمنه قوله تعالى : **{ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ }** [٨٢] ، وقيل اكتفاء بذكر (إنا) مرة في هذه القصة [٨٣] .

{ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ } ثناء آخر عليه بوصفه بأعظم خلة وأجمل حلة وهي الإيمان الصادق، وهو تعليل لكونهِ من المحسنين بخلوصِ عبوديته وكمال إيمانه [٨٤] .

* *

المبحث الثاني

أقوال العلماء في تعيين الذبيح وحججهم والراجح منها

اختلف أهل العلم سلفاً وخلفاً في تعيين الذبيح من أبناء الخليل عليه السلام، وبدأ هذا الخلاف من عهد الصحابة رضي الله عنهم، فمن قائل بأنه إسماعيل عليه السلام، وقائل بأنه إسحاق عليه السلام، حتى روي عن بعضهم روايتان إحداهما بأنه إسماعيل والأخرى بأنه إسحاق – كما سيأتي بيانه إن شاء الله– وتبعهم في الخلاف من جاء بعدهم من التابعين والمفسرين والمحدثين ، وكل فريق احتج بأدلة نقلية وعقلية أيّد بها ما مال إليه ، وادعى بعض العلماء أن الأكثرية على أنه إسحاق ، قال الواحدي : " الأكثرون على أنه إسحاق "[٨٥]، وقال القرطبي: "اختلف العلماء في المأمور بذبحه فقال أكثرهم : الذبيح إسحاق"[٨٦]، وفي المقابل ادعى بعضهم أن الأكثرية على أنه إسماعيل ، فالقرافي نقل عن ابن حبيب قوله: " وأهل العراق وأكثر العلماء إسماعيل "[٨٧] ، وقال ابن عادل بعد نقله عن الإمام أحمد بأنه إسماعيل : " وعليه جمهور العلماء من السلف والخلف "[٨٨] .

والذي يظهر أن الكفتين متقاربتان في المنقول عن السلف ، وأما الخلف فأكثرهم على أنه إسماعيل ، قال الحاكم : "وقد كنت أرى مشايخ الحديث قبلنا وفي سائر المدن التي طلبنا الحديث فيه وهم لا يختلفون أن الذبيح إسماعيل"[٨٩]. وفي زماننا لا يكاد يعرف عوام الناس إلا أن الذبيح إسماعيل عليه السلام، وأما القول بأنه إسحاق فهو مهجور ومنكور لاشتهار الأول وعدم سماعهم سواه.

ومسألة البحث في تعيين الذبيح _ وإن كانت ليست من الأحكام ولا من أصول الدين كما يقول ابن العربي[٩٠] – تبرز لنا المكانة الرفيعة والقدح المعلى للذبيح الذي جاد بنفسه لله تعالى في استسلام و خضوع لم يخالجه تردد ولا

نكوص ، وكلاهما نبيان كريمان أثنى الله تعالى: عليهما أيما ثناء في كتابه الكريم ففي الثناء عن إسماعيل عليه السلام قال تعالى {وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ} [الأنعام :٨٦[، وقال: { وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ } [الأنبياء : ٨٥].

وقال في الثناء على إسحاق : { فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ } [الذاريات: ٢٨] وقال: { وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ} [الصافات: ١١٢].

وهؤلاء العلماء المختلفون في الذبيح لم يتبعوا الهوى في تعيين أي أبناء الخليل هو ، وإنما حسب ما ظهر لهم من أدلة ، ولو لم يكن الأمر كذلك لاختاروا إسماعيل – عليه السلام – لكونه أباً لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وفيه ما فيه من زيادة التشريف له صلى الله عليه وسلم بل وللعرب جميعا ، وهذا ما يفسر زعم اليهود بأنه إسحاق لأنه أبوهم فيكون لهم حظ من الشرف والفخر، لصبره وحلمه ورضاه بقضاء الله وقدره ، فقد أخرج الطبري في تفسيره عن محمد بن كعب القرظي أنه ذكر لعمر بن عبد العزيز –رحمه الله– بأن الذبيح إسماعيل فقال عمر : إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه، وإني لأراه كما هو، ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهوديا، فأسلم فحسُن إسلامه، وكان يرى أنه من علماء يهود، فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك، قال محمد ابن كعب: وأنا عند عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: أيّ ابني إبراهيم أُمِر بذبحه؟ فقال: إسماعيل والله يا أمير المؤمنين، وإن يهود لتعلم بذلك، ولكنهم يحسُدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه، والفضل الذي ذكره الله منه لصبره لما أمر به ، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق، لأن إسحاق أبوهم [٩١]. ومهما يكن فإن الراجح في تعيين الذبيح سيتجلى – إن شاء الله – بعد ذكر أدلة كل فريق وسبرها ومناقشتها .

المطلب الأول : القائلون بأنه إسماعيل وحجتهم

قال بهذا القول [٩٢] جماعة من الصحابة والتابعين وغيرهم رضي الله عنهم، فمن الصحابة أبو هريرة وأبو الطفيل عامر بن واثلة وابن عباس، وروي ذلك عن ابن عمر وعلي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، ومن التابعين ومن بعدهم سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن البصري والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي وعمر بن عبد العزيز وأبو عمرو بن العلاء والكلبي وعلقمة وأبو سعيد الضرير وأبو جعفر محمد بن علي وأبو صالح [٩٣]، وصححه أبو حاتم[٩٤]والإمام أحمد بن حنبل[٩٥]، وانتصر له ابن تيمية [٩٦] وابن القيم [٩٧] وابن كثير[٩٨]، ورجحه أكثر المفسرين منهم ابن أبي زمنين[٩٩] وابن عطية[١٠٠] والقشيري[١٠١] والبيضاوي[١٠٢] والنسفي[١٠٣] وأبو حيان[١٠٤] والثعالبي[١٠٥] والبقاعي[١٠٦] والإيجي[١٠٧] والنخجواني [١٠٨] والعليمي المقدسي[١٠٩] والشربيني[١١٠] وأبو السعود[١١١] والألوسي[١١٢]، ومن المعاصرين محمد رشيد رضا[١١٣] والمراغي[١١٤] والسعدي[١١٥] وابن عاشور [١١٦] و محمد الأمين الشنقيطي[١١٧] والدكتور محمد أبو شهبة [١١٨] ومحمد أبو زهرة[١١٩] والشعراوي[١٢٠] ووهبة الزحيلي[١٢١] والجزائري[١٢٢] والصابوني[١٢٣]، وعليه غالب المحدثين [١٢٤] .

وقبل أن نخوض في حجج الفريقين لا بد أن نعلم أن كليهما احتج بأحاديث نبوية في تسمية الذبيح – كما سيأتي إن شاء الله – ولكن لم يصح منها شيء ، ولو صح منها شيء لكان فيصلا في الأمر ، ولذا فالمعتمد من حججهم هو ما كان اجتهادا واستنباطا من القرآن الكريم وغير ذلك مما يساندها ويقويها من الخارج ، يقول الشيخ المراغي : " ليس في هذه المسألة دليل قاطع من سنة صحيحة ولا خبر متواتر، بل روايات منقولة عن بعض أهل الكتاب وعن جماعة من الصحابة والتابعين، ومن ثم حدث الخلاف فيها " [١٢٥].

بعد أن تقرر هذا فإن القائلين بأنه إسماعيل احتجوا بهذه الحجج :

الحجة الأولى : ما جاء عن الصنابحي، قال: كنا عند معاوية بن أبي سفيان، فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق، فقال: على الخبير سقطتم: (كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل، فقال: يا رسول الله عد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين؛ فضحك عليه الصلاة والسلام ؛ فقلنا له: يا أمير المؤمنين، وما الذبيحان؟ فقال: إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم، نذر لله لئن سهل عليه أمرها ليذبحن أحد ولده، قال: فخرج السهم على عبد الله، فمنعه أخواله، وقالوا: افد ابنك بمئة من الإبل، ففداه بمئة من الإبل، وإسماعيل الثاني)[١٢٦] ، وبالحديث المشهور (أنا ابن الذبيحين)[١٢٧] .

الحجة الثانية : أن الله تعالى بشر سارة بولادة إسحاق عليه السلام وأن من عقبه يعقوب عليه السلام فقال : {**وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ**} [هود: ٧١]، فمحال أن يبشرها بأنه يكون لها ولد ثم يأمر بذبحه قبل أن يولد له يعقوب عليه السلام ، ولا ريب أن يعقوب عليه السلام داخل في البشارة ، فتناوُلُ البشارة لإسحاق ويعقوب في اللفظ واحد، كما يقتضيه ظاهر الكلام وسياقه ، ولا خلاف بين الناس أن قصة الذبيح كانت قبل ولادة يعقوب ، بل يعقوب إنما ولد بعد موت إبراهيم عليه السلام [١٢٨] .

الحجة الثالثة : أنه تعالى قال عن نبيه إبراهيم عليه السلام : { **وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١)**}. ثم شرع في قصة الذبح حتى ختمها بقوله جل وعلا : {**وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠)**} ثم قال بعد ذلك عاطفا على البشارة الأولى:{ **وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ** }، فدل ذلك على أن البشارة الأولى شيء غير المبشر به في الثانية؛ لأنه لا يجوز حمل قوله تعالى:

{ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ} على أن معناه: فبَشرناه بإسحاق، ثم بعد انتهاء قصة ذبحه يقول أيضا:وبشرناه بإسحاق، فهو تكرار لا فائدة فيه ينزه عنه كلام الله، وهو ظاهر جدا في أن الغلام المبشر به أوّلاً الذي فدي بالذبح العظيم، هو إسماعيل، وأن البِشارة له بإسحاق شكرا على صبره على ما أمر به ، بل هو كالنص فيه ، فإن المقرر في الأصول أن النص من كتاب اللَّه وسنة رسوله صلى اللَّه عليه وسلم، إذا احتمل التأسيس والتأكيد معا وجب حمله على التأسيس(١٢٩)، ولا يجوز حمله على التأكيد، إلا لدليل يجِب الرجوع إليه. ومعلوم في اللغة العربية، أن العطف يقتضي المغايرة*(١٣٠).

الحجة الرابعة : أنه تعالى ذكر في الذبيح أنه غلام حليم ، فإنه لا أحلم ممن أسلم نفسه للذبح طاعة لربه ، ولما ذكر البِشارة بإسحاق وصفه في جميع المواضع التي ذكر فيها بالعلم لا الحلم، كما في قوله تعالى:{ **فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ** } [الذاريات: ٢٨]، وقوله:{ **قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ** } [الحجر: ٥٣]، وهذا الغلام الذبيح وصفه بالحلم لا العلم ، والتخصيص لا بد له من حكمة، فالحلم مناسب للصبر الذي هو خلق الذبيح ، قال تعالى عنه:{ **قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** } [الصافات: ١٠٢]، وإسماعيل وصف بالصبر في قوله تعالى: {**وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ**} [الأنبياء: ٨٥]، ولو لم يكن إسماعيل هو الذبيح لما جاء له هذا الوصف بالصبر دون غيره من الصفات، ووصفه اللَّه تعالى أيضا بصدق الوعد في قوله تعالى:{ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ** } [مريم: ٥٤]؛ لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به. (١٣١)

الحجة الخامسة : أن اللَّه تعالى حكى عن الخليل عليه السلام أنه قال: { **إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ** }، ثم طلب من اللَّه تعالى ولدا يستأنس به في غربته فقال:{ **رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ**}، وهذا السؤال إنما يحسن قبل أن

يحصل له الولد، وهو لا يفيد في الظاهر إلا طلب الولَد الواحد، وكلمة (مِن) للتبعيض وأقل درجات البعضية هو الواحد ، فثبت أن هذا السؤال وقع حال طلب الولد الأول ، وأجمع الناس على أنّ إسماعيل متقدم في الوجود على إسحاق الذي بشر به إبراهيم عليه السلام وزوجه سارة على الكبر واليأس من الولد ، ثم إنّ اللَّه تعالى ذكر عقب دعائه بهبة الولد له قصة الذبيح فوجب أن يكون الذبيح هو إسماعيل.(١٣٢)

الحجة السادسة : أن البشارة وقعت مرتين ، مرة في قوله تعالى: **{ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى }**، فهذه الآيات قاطعة في أن هذا المبشر به هو الذبيح ، ومرة في قوله:**{ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ}** [هود: ٧١]، فقد صرح فيها أن المبشر به إسحاق ، ولم يكن بسؤال من إبراهيم ، بل قالت **امرأته{ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ } [هود: ٧٢]**، وكان ذلك في الشام لما جاءت الملائكة إليه بسبب قوم لوط وهو في آخر أمره. أما البشارة الأولى فقد وقعت له لما انتقل من العراق إلى الشام، حين كان سنه لا يستغرب فيه الولد، ولذلك سأله ، فعلمنا بذلك أنهما بشارتان في وقتين بغلامين ، أحدهما بغير سؤال، وهو إسحاق صريحا . والثاني قبل ذلك بسؤال وهو غيره ، فقطعنا بأنه إسماعيل وهو الذبيح (١٣٣) .

الحجة السابعة : أنه تعالى لما قص قصة الذبيح، قال في آخر القصة: **{وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ}**، ثم قال: { **سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ** } ، أي على الذبيح وهو إسماعيل كنى عنه، لأنه قد تقدم ذكره { **وَعَلَى إِسْحَاقَ** }، ثم قال: { **وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا** } فدل على أنها

ذرية إسماعيل وإسحاق، وليس تختلف الرواة في أن إسماعيل كان أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة.(١٣٤)

وهذا على القول بعود الضمير إلى إسماعيل ، والقول الآخر عوده على الخليل عليه السلام والسياق يؤيده حيث يعود الضمير إلى أقرب مذكور .

الحجة الثامنة : لما ذكر الله تعالى هجرة الخليل عليه السلام في قوله تعالى: { **فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** } [العنكبوت: ٢٦] عطف عليه قوله: { **وَوَهَبْنَا لَهُ** } أي بجليل قدرتنا شكراً على هجرته{ **إِسْحَاقَ**} من زوجته سارة عليها السلام التي جمعت إلى العقم في شبابها اليأس بكبرها وعطفه لهبته له بالواو دليل على أن الموهوب الذي وقع عليه الذبح في قوله تعالى: { **وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١)** } [الصافات: ٩٩ – ١٠١]، هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام لتعقيبه للهبة هنا على الهجرة بالفاء * (١٣٥).

الحجة التاسعة : أن اللَّه سبحانه أجرى العادة البشرية أن بكر الأولاد أحب إلى الوالدين ممن بعده، وإبراهيم عليه السلام لما سأل ربه الولد ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته، واللَّه تعالى قد اتخذه خليلا، والخلة منصب يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة، وأن لا يشارك بينه وبين غيره فيها، فلما أخذ الولد شعبة من قلب الوالد جاءت غيرة الخلة تنتزعها من قلب الخليل، فأمره بذبح المحبوب، فلما أقدم على ذبحه وكانت محبة اللّه أعظم عنده من محبة الولد خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة، فلم يبق في الذبح مصلحة ، وفدي الذبيح، وصدق الخليل الرؤيا، وحصل مراد الرب . ومعلوم أنه لا يحصل عند المولود الآخر من مزاحمة الخلة ما يقتضي الأمر بذبحه، وهذا في غاية الظهور(١٣٦).

الحجة العاشرة : أن قصة الذبيح كانت بمكة ، والنبي صلى اللَّه عليه وسلم لما فتح مكة كان قرنا الكبش في الكعبة فقال النبي صلى اللَّه عليه وسلم لعثمان بن طلحة: " إني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت البيت فنسيت أن آمرك أن تخمرهما فخمرهما، فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلي "، قال سفيان: لم يزل قرنا الكبش في البيت حتَى احترق البيت، فاحترقا (١٣٧).

ولهذا جعلت منى محلا للنسك من عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وهما اللذان بنيا البيت بنص القرآن. ولم ينقل أحد أن إسحاق ذهب إلى مكة لا من أهل الكتاب ولا غيرهم ، لكن بعض المؤمنين من أهل الكتاب يزعمون أن قصة الذبح كانت بالشام ، فهذا افتراء ، فإن هذا لو كان ببعض جبال الشام لعرف ذلك الجبل وجعل منسكا تذبح عنده القرابين كما جعل المسجد الذي بناه إبراهيم وما حوله من المشاعر (١٣٨)، وقد نقل عن الأصمعي أنه قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح، فقال: يا أصمعي أين عزب عنك عقلك! ومتى كان إسحاق بمكة ؟ وإنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة.(١٣٩)

الحجة الحادية عشرة : أن سارة امرأة الخليل عليه السلام غارت من هاجر وابنها أشد الغيرة، فإنها كانت جارية، وقد ولدت إسماعيل وأحبه أبوه ، وهي ليس لها ولد فأمر اللَّه سبحانه أن يبعد عنها هاجر وابنها ويسكنها في أرض مكة لتبرد عن سارة حرارة الغيرة (١٤٠) ، وهذا من رحمته تعالى ورأفته بها وإبعاد الضرر عنها وجبره لها ، فكيف يأمره سبحانه بعد هذا أن يذبح ابنها ويدع ابن الجارية بحاله، بل حكمته البالغة اقتضت أن يأمر بذبح ولد الجارية ، فحينئذ يرق قلب السيدة عليها وعلى ولدها، وتتبدل قسوة الغيرة رحمة ، ويظهر لها بركة هذه الجارية وولدها، وأن اللَّه لا يضيع بيتا هذه وابنها منهم ، ولِيُرِيَ

عباده جبره بعد الكسر، ولطفه بعد الشدة، وأن عاقبة صَبْرِ هاجر وَابْنِهَا عَلَى الْبُعْدِ وَالْوَحْدَةِ وَالْغُرْبَةِ وَالتَّسْلِيمِ للذبح آلَتْ إِلَى مَا آلَتْ إِلَيْهِ مِنْ جَعْلِ آثَارِهِمَا وَمَوَاطِئِ أَقْدَامِهِمَا مَنَاسِكَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمُتَعَبَّدَاتٍ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ(١٤١).

المطلب الثاني : القائلون بأنه إسحاق وحجتهم

قال بهذا القول(١٤٢) جماعة من الصحابة والتابعين وغيرهم رضي الله عنهم، فمن الصحابة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وابن عباس وأبي بن كعب وعبد اللَّه بن عمر والعباس بن عبد المطلب وعبد اللَّه بن عمرو وجابر بن عبد الله وابن مسعود وأبو هريرة .

ومن التابعين وغيرهم كعب الأَحبار وقتادة وزيد بن أسلم ومكحول وعبدالله ابن شقيق وعثمان بن حاضر والحسن البصري وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة والزهري وأبو ميسرة والسدي ومقاتل وعلقمة والشعبي ومجاهد والقاسم بن أبي بزة وعطاء وعبد الرحمن بن سابط وعبيد بن عمير وعبد اللَّه ابن أبي الهذيل، وَعَلَيْهِ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى،ومال إليه مالك بن أنس(١٤٣)، وَاخْتَارَهُ النَّحَّاسُ(١٤٤) والقاضي عياض(١٤٥)والسهيلي(١٤٦) ، وانتصر له شيخ المفسرين ابن جرير الطَّبَرِيُّ(١٤٧) وكذا القرطبي (١٤٨)، ورجحه الواحدي(١٤٩) والخازن(١٥٠)، ولم أجد من المعاصرين من مال إلى هذا القول .

وقد احتج القائلون بهذا القول بعدة حجج نجملها في الآتي:

الحجة الأولى : ما جاء عن العباس بن عبد المطلب عن النبي صلّى الله عليه وسلم قال: "الذبيح إسحاق"(١٥١)، وما جاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: " إن الله تعالى خيرني بين أن يغفر لنصف أمتي أو شفاعتي، فاخترت شفاعتي، ورجوت أن تكون أعم لأمتي ولولا الذي سبقني إليه العبد الصالح لعجلت دعوتي ، إن الله تعالى لما فرج عن إسحاق كرب الذبح قيل له: يا إسحاق سل تعطه قال: أما والله لأتعجلنها قبل نزغات الشيطان اللهم من مات لا يشرك بك شيئا و أحسن فاغفر له وأدخله الجنة " (١٥٢).

الحجة الثانية : أن اللَّه تعالى فدى الغلام الحليم الذي بشر به إبراهيم حين سأله أن يهب له ولدا صالحا من الصالحين، فقال: { **رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١)** } [الصافات: ١٠٠ – ١٠١]، فإذا كان المفدى بالذبح من ابنيه هو المبشر به ، وكان اللَّه تبارك اسمه قد بين في كتابه أن الذي بشر به هو إسحاق ، فقال جل ثناؤه: { **فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ** }، وكان في كل موضع من القرآن ذكر تبشيره إياه بولد، فإنما هو معني به إسحاق، كان بينا أن تبشيره إياه بقوله: { **فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ** } في هذا الْموضع يعني به إسحاق نحو سائر أخباره في غيره من آيات القرآن (١٥٣) .

الحجة الثالثة : أن اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَخْبَرَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ حِينَ فَارَقَ قَوْمَهُ وهَاجَرَ إِلَى الشَّامِ مَعَ امْرَأَتِهِ سَارَةَ وَابْنِ أَخِيهِ لُوطٍ أَنَّهُ دَعَا فَقَالَ:{ **رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ** } [الصافات: ١٠٠] فكانت البشارة { **فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ** } [الصافات: ١٠١] وفي موضع آخر قال تعالى عنه: { **فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ** } [مريم: ٤٩] وعلى هذا يكون الغلام الحليم في الموضع السابق هو إسحاق (١٥٤).

الحجة الرابعة : أن الله تَعَالَى لَمَّا تَمَّمَ قِصَّةَ الذَّبِيحِ قَالَ بَعْدَهُ: { **وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ** } **[الصافات: ١١٢]**، وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ بَشَّرَهُ بِكَوْنِهِ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ، ولا تكون النبوة إلا في حال الكبر ، وذكرُ هَذِهِ الْبِشَارَةَ عَقِيبَ حِكَايَةِ تِلْكَ الْقِصَّةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا بَشَّرَهُ بِهَذِهِ النُّبُوَّةِ لِأَجْلِ أَنَّهُ تَحَمَّلَ هَذِهِ الشَّدَائِدَ فِي قِصَّةِ الذَّبِيحِ (١٥٥).

الحجة الخامسة: أن الله تعالى قال: { **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ** } **[الصافات: ١٠٢]**، والذي كان عند أبيه هو إسحاق ، وَإِسْمَاعِيلُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ، إِنَّمَا كَانَ فِي حَال صغره هُوَ وَأمه بجبال مَكَّة فَكيف يبلغ مَعَه السَّعْي(١٥٦) .

المطلب الثالث : مناقشة حجج الفريقين والراجح منها

بالتأمل فيما احتج به كل فريق نجد أن أصحاب القول الأول القائلين بأنه إسماعيل عليه السلام احتجوا بضعف ما احتج به أصحاب القول الثاني القائلون بأنه إسحاق عليه السلام ، وكان من بين الحجج التي احتجوا بها جميعا بعض الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لم يصح عنها شيء كما بينا ذلك سابقا . وبقيت الحجج الأخرى التي حاول كل فريق أن يضعّف بعضها ويرد عليه فمن ذلك : ما ذكره أصحاب القول الأول القائلون بأنه إسماعيل من استحالة أن يأمر الله تعالى خليله إبراهيم عليه السلام بذبح إسحاق قبل أن يولد له يعقوب وقد بشر الله سارة بولادة إسحاق وأن من عقبه يعقوب في قوله تعالى : {**وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ**} [**هود: ٧١**]، فردوا على ذلك بأنه تعالى إنما أمره بذبحه بعد أن بلغ معه السعي وتلك حال غير منكر أن يكون له أولاد ، فلعله أمر بذبح إسحاق بعد أن ولد يعقوب(١٥٧) ، أو يقال : لم يرد في القرآن – أي تصريحا – أن يعقوب يولد من إسحاق(١٥٨)، وجواب ثالث وهو أن هذا الاحتجاج باطل من جهة النحو لأن يعقوب ليس مخفوضا عطفا على إسحاق(١٥٩)، ولو كان كذلك لقال (ومن وراء إسحاق بيعقوب)؛ لأنك لو فصلت بين واو العطف وبين المخفوض بجار ومجرور لم يجز إلا بإعادة الخافض ، فإذا بطل أن يكون يعقوب مخفوضا ثبت أنه منصوب بفعل مضمر تقديره (ووهبنا له يعقوب)(١٦٠)، وأجيب عن هذا بأن الرفع ليعقوب(١٦١) لا يمنع أن يكون مبشرا به ، لأن البشارة قول مخصوص وهي أول خبر سار صادق ، ولما كانت قولا كان موضع (ومن وراء إسحاق يعقوب) نصبا على الحكاية بالقول كأن المعنى (وقلنا لها : من وراء إسحاق يعقوب)(١٦٢) ، وما ذكروه بأنه تعالى أتبع قصة المفدى من ولد إبراهيم عليه السلام بقوله: { **وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا** } فدل ذلك على أن البشارة الأولى شيء غير المبشر به في الثانية ، فردوا عليه بأن البشارة الأولى بولادة

إسحاق، وأما البشارة الثانية فهي بنبوته ولا تكون إلا في حال الكبر، وقد جاءت إبراهيم بعد أن فداه تكرمة من الله تعالى له على صبره لأمر ربه فيما امتحنه به من الذبح له(١٦٣). وأجيب عن هذا بأن البشارة وقعت على المجموع ، على ذاته ووجوده، وأن يكون نبيا ولهذا نصب (نبيا) على الحال المقدر ، أي : مقدرا نبوته ، فلا يمكن إخراج البشارة أن تقع على الأصل ثم تخص بالحال التابعة الجارية مجرى الفضلة ، هذا محال من الكلام ، بل إذا وقعت البشارة على نبوته فوقوعها على وجوده أولى وأحرى (١٦٤) ، وما ذكروه من أن قصة الذبيح كان في مكة ، وأن قرنا الكبش كانا معلقين في الكعبة ، فأجابوا عنه بأنه لا يستحيل أن يكون إسحاق حمل من الشام إلى مكة (١٦٥)، وما ذكروه من حجج أخرى فأجابوا عنها بأنها ليست بقاطعة في كونه إسماعيل (١٦٦) .

وأما حجج القائلين بأنه إسحاق فقد مضى الجواب عن بعضها وأقوى ما احتجوا به هو أن دعاء إبراهيم عليه السلام لهبة الولد كان بعد مفارقة قومه، وقد قال تعالى في موضع آخر: { **فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ** } **[مريم: ٤٩]** فدل هذا على أن الغلام الحليم هو إسحاق ، ولكن هذا لا يلزم منه أن تكون الهبة حين الاعتزال لقومه ، بدليل عطف يعقوب على إسحاق وهو ابنه الذي قيل بأنه ولد بعد وفاة إبراهيم عليه السلام والحجة الأخرى بأن الذي بلغ السعي وهو عند أبيه هو إسحاق وليس إسماعيل ، فيمكن أن يقال بأن المعية لا تعني المصاحبة والملازمة الدائمة ، فلو قال قائل : بلغ خالد مع زيد المراتب العلية فهل يعني هذا أنه مصاحب له وملازم بشكل دائم ؟ فيمكن أن يقول ذلك عنه إذا صاحبه ولو بعض الوقت ، والله أعلم .

الراجح من الأقوال

بعد النظر في حجج الفريقين ومناقشة أقوالهما فإن حجج القائلين بأنه إسماعيل أقوى في دلالتها مع كثرتها ودقة استنباط أصحابها من الآيات القرآنية خاصة وأنه لا خلاف أن الذي كان في مكة وعاش بها هو إسماعيل وهو أكبرهما ، ويستأنس كذلك بهذا الأثر الصحيح وهو أن الخليل عليه السلام قال : " يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَالَ: وَتُعِينُنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا "(١٦٧) ، فعبارة (فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ) في الحديث بلا تردد منه إذا ضمت إلى قوله تعالى في الآية (افعل ما تؤمر) بلا تردد منه فإنها توحي بخروجهما من مشكاة واحدة ، وعلى هذا يكون الراجح في تعيين الذبيح هو قول القائلين بأنه إسماعيل ، والله تعالى أعلم وأحكم.

المبحث الثالث

الجوانب الإيمانية والأخلاقية البارزة من خلال آيات القصة وغيرها من الآيات القرآنية التي تحدثت عن هذين النبيين الكريمين،

وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول : الانقياد والتسليم

هذه المرتبة الإيمانية أبرز شيء في هذه القصة وهي التسليم لحكم الله عز وجل الذي قال الله تعالى فيه: { **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** } [النساء: ٦٥] وهي من أجل مقامات الإيمان ومحض الصديقية (١٦٨) .

وقد جاء ثناء الله تعالى على الخليل بالتسليم والانقياد له ووصيته لأبنائه بذلك قال تعالى : { **وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢)** } [البقرة: ١٣٠ – ١٣٢].

قال ابن كثير : "وقوله تعالى : { **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** } أَيْ: أَمَرَهُ اللَّهُ بِالْإِخْلَاصِ لَهُ وَالِاسْتِسْلَامِ وَالِانْقِيَادِ، فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ شَرْعًا وَقَدَرًا.

وَقَوْلُهُ: { **وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ** } أَيْ: وَصَّى بِهَذِهِ الْمِلَّةِ وَهِيَ الْإِسْلَامُ لِلَّهِ أَوْ يَعُودُ الضَّمِيرُ عَلَى الْكَلِمَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ: { **أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** } لِحِرْصِهِمْ عَلَيْهَا وَمَحَبَّتِهِمْ لَهَا حَافَظُوا عَلَيْهَا إِلَى حِينِ الْوَفَاةِ وَوَصَّوْا أَبْنَاءَهُمْ بِهَا مِنْ بَعْدِهِمْ" (١٦٩).

وإسماعيل عليه السلام من أبنائه الذين حققوا هذه الوصية وعملوا بها في حياته وبعد مماته عليه السلام ، ومن دلائل هذا التسليم ما جاء عنهما في هذا

القصة حيث قال تعالى عنهما{ **فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ** } أي استسلما لأمر الله تعالى وانقادا له ، فالخليل لم يسأل ربه – عندما رأى في المنام أنه يذبح ابنه– عن سبب ذبحه ، ولم يطلب منه الإمهال والتريث ولو بعد حين ، بل بادر بالتنفيذ وانقاد لأمره ، لأنه على علم ويقين أن ربه تعالى لا يأمره إلا بما فيه مصلحة ونفع له في العاجل والآجل ، وهذا الأمر بالذبح من الكلمات التي ابتلاه الله بها فأتمها على أكمل وجه وأتمه ، فاستحق الإمامة في الدين لجميع الناس قال عز وجل عنه: { **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا** } [البقرة: ١٢٤]، قال ابن كثير : "يقول تعالى منبها على شرف إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِه، عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَهُ إِمَامًا لِلنَّاسِ يُقْتَدَى بِهِ فِي التَّوْحِيدِ ، حَتَّى قَامَ بِمَا كَلَّفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْأَوَامِرِ والنواهي "[(١٧٠)] ، وتفسير الكلمات بالأوامر والنواهي يكاد يكون إجماعا عند المفسرين . والابتلاء في الأصل التكليف بالأمر الشاق من البلاء [(١٧١)] ، وهل هناك تكليف أشق من مباشرة ذبح فلذة الكبد وثمرة الفؤاد ؟ قال الرازي : { **فَأَتَمَّهُنَّ** } فقام بهن حق القيام وأداهن أحسن التأدية من غير تفريط ولا توان "[(١٧٢)] ، وعرضه الأمر على ابنه بقوله : ماذا ترى ؟ ليس للاستشارة في أن يفعل أو لا يفعل بل هو فاعل ذلك لا محالة ، وإنما أراد من استشارته له إشراكه معه في الأجر ، واختبار ما عنده من الصبر والرضا .

هذا وقد جاء الثناء على الخليل عليه السلام بسلامة القلب في قوله تعالى : { **إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** } [الصافات: ٨٤] وهي سلامة عامة من كل شوائب القلب من الشرك فما دونه، ومما سلم منه قلبه عليه السلام منازعة الله تعالى فيما يأمره به، أو الحرج مما قضاه عليه، بل كان فيه التسليم والانقياد التام ، وكذا الابن الصالح تقبل الخبر بكل استسلام وانقياد وقال لأبيه { **افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ** } ولم يقل لأبيه سل ربك لماذا تذبحني ؟ وما فائدة ذلك ؟ ولم يطلب من أبيه التريث في الأمر وعدم الاستعجال فيه أو إمهاله حتى يفكر فيه مليا ، بل بادره

بالجواب الصريح الدال على كمال انقياده وتسليمه { **افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ** } فما دام الأمر من الله تعالى فافعله ولا تؤخره .

ومن دلائل التسليم والانقياد عند هذا الابن الصالح ما جاء في الأثر الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث طويل في قصة بناء البيت الحرام وفيه (ثم قال يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر قال : فاصنع ما أمرك ربك ، قال : وتعينني ؟ قال : وأعينك)[١٧٣] ، فهو قد بادر أباه أن يطيع ربه فيما أمره ولما يعرف بعد المأمور به ، ثم استعد بعونه له مهما كان شاقا ، فما دام الأمر من الله تعالى ، وفيه ما يرضيه ، فإنه يكفي في الطاعة والانقياد .

المطلب الثاني : الحلم

الحلم صفة من صفات الله تعالى ، وهو ثمرة من ثمار الصبر ، وحلية يتحلى بها الأخيار من البشر، وهو – كما قيل – سيد الأخلاق ؛ لأنه يقوم على ضبط النفس وعدم الاستجابة للمؤثرات من الناس أو النفس أو الهوى ، وهو ضد الغضب الذي يفقد الإنسان السيطرة على نفسه فيتصرف بأقواله وأفعاله بما لا تحمد عقباه ، ويعرف أثره غير المحمود إذا سكن وهدأت ثائرة نفسه، وأما الحلم فمحمود العاقبة في كل الأحوال ، وبه كمال الرجولة والقوة والجلد، وهو حقيقة الشجاعة التي جاءت في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أصحابه ما تعدون الصرعة فيكم ؟ قالوا : الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ، قَالَ: « لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» [١٧٤].

وقد جاء في تعريفه بأنه الأناة والسكون مع القدرة والقوة [١٧٥] ، وقيل هو ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب [١٧٦].

وقد جاء الوصف بالحلم للابن حين البشارة به بقوله عز وجل: { **فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ** } ، ولما بلغ معه السعي أمر الخليل بذبحه ، فتحقق فيه هذا الوصف

أيما تحقق ، وذلك بسكونه وعدم اضطرابه وطمأنينة قلبه بأمر ربه جل وعلا ، وأما الخليل عليه السلام فقد جاء وصفه بالحلم في قوله تعالى: { **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ** } [هود:٧٥] وقوله تعالى { **نَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ** } [التوبة: ١١٤]، قيل : إنه لم يغضب لنفسه إلا أن يغضب لله (١٧٧). ومن دلائل حلمه ما ذكره الطبري عند تفسيره لقوله تعالى: { **وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ** } [التوبة: ١١٤] حيث قال : إن إبراهيم لدعَّاء لربه ،شاكٍ له، حليمٌ عمن سبَّه وناله بالمكروه؛ وذلك أنه صلوات الله عليه وعد أباه بالاستغفار له، ودعاء الله له بالمغفرة، عند وعيد أبيه إياه، وتهدُّده له بالشتم، بعد ما ردَّ عليه نصيحته في الله وقوله: { **أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا** } ، فقال له صلوات الله عليه: { **سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨)** } [مريم: ٤٧-٤٨] . فوفى لأبيه بالاستغفار له، حتى تبيَّن له أنه عدو لله، فوصفه الله بأنه دَعّاء لربه،حليم عمن سَفِه عليه "(١٧٨).

ومن أناته وتحلمه ما تقدم من الأثر – إن صح – أنه رأى ليلة التروية في مَنَامِهِ كَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ بِذَبْحِ ابْنِكَ هَذَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ تَرَوَّى فِي ذَلِكَ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الرَّوَاحِ، أَمِنَ اللَّهِ هَذَا الْحُلْمُ أَمْ مِنَ الشَّيْطَانِ؟ فَمِنْ ثَمَّ سُمِّيَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ، فَلَمَّا أَمْسَى رَأَى مِثْلَ ذَلِكَ، فَعَرَفَ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ فَسُمِّيَ يَوْمَ عَرَفَةَ، ثُمَّ رَأَى مِثْلَهُ فِي اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ فَهَمَّ بِنَحْرِهِ ، فسمي يوم النحر)(١٧٩) ، فهو لم يستعجل حتى تحقق في الرؤيا ثم شرع في العمل بها ومن أناته وتحلمه أنه لم يتسرع في الذبح ، فلم يأخذ ابنه حين غرة ويباغته به بل عرض عليه الأمر وشاوره فيه { **فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى**} ليسهل الأمر عليه وعلى ابنه ويتقبله بانقياد وتسليم ، وقد قيل: "ما نعت الله الأنبياء عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ بأقلَّ ممَّا نعتهم بالحِلْمِ لعزَّةِ وجودِه غيرَ إبراهيمَ وابنه "(١٨٠).

المطلب الثالث : الصبر

الصبر نصف الإيمان، فإن الايمان نصفان : نصف صبر ونصف شكر (١٨١) ، ولعل هذا التقسيم مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم (عجبا لأمر المؤمن ؛ إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له " (١٨٢) ، وهو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا إيمان لمن لا صبر له (١٨٣) ، وهو صفة من صفات الأنبياء عليهم السلام لازمة لدعوتهم إلى الله تعالى، وإلا لم يتحقق لهم كمال التبليغ للدين قال تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم { **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ** } [الأحقاف: ٣٥] وأمره بالصبر من حين أمره بالتبليغ ، { **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)** } [المدثر: ١ – ٧] .

والخليل عليه السلام من أولي العزم من الرسل الذين جاء الثناء عليهم بالصبر بل هو من أعظم الرسل الذين صبروا وصابروا ، لما ابتلاه الله به من التكاليف والبلاءات المتعددة ، فأتمها ووفّى بها ، فحاز أعلى المقامات من الإمامة والخلة والصديقية حتى أمسى أمة وحده ، جمع من خلال الخير ما يكون في أمة { **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** } [النحل: ١٢٠].

قال الرازي : " كان وحده أمة من الأمم لكماله في صفات الخير كقوله : ليس على الله بمستنكر ..... أن يجمع العالم في واحد .."(١٨٤)، وقال البيضاوي: "كان أمة لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد إلا مفرقة في أشخاص كثيرة "(١٨٥). وقد اشتهر عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: " بالصبر واليقين

تنال الإمامة بالدين "[١٨٦] أخذه من قوله تعالى { **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** } [السجدة: ٢٤].

وفي هذه القصة برز صبره وصبر ابنه عليهما السلام ، هذا في طاعته أمر الله تعالى بالذبح ، وذاك قد وعد بالصبر على ألم الذبح واستسلامه له ، قال تعالى حكاية عنه: { **يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** }، فصدق في موعوده بالصبر على الذبح والصبر على معاونة أبيه على المهمة الشاقة في بناء بيت الله الحرام ، فأثنى الله تعالى عليه به وقال: { **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا** } [مريم: ٥٤].

ثم كان الثناء العاطر عليه بحسبانه في زمرة الصابرين { **وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ** } [الأنبياء: ٨٥].

والبلاء كلما عظم واشتد كان الصبر عليه أشق ما يكون على النفس، ولكن احتساب الأجر وقوة الإيمان واليقين بما وراءه من المكرمات والعطايا، والرضا بقضاء مالكه والمتصرف في أمره والشعور بأنه لا يقضي له إلا بما فيه نفعه ومصلحته في العاجل والآجل، كل ذلك مما يعين على الصبر ويخفف من مرارته، والمتأمل في الابتلاء الذي ابتلي به الخليل بذبح ابنه ، يجد أنه قد أحاط به أمور تجعل من هذا البلاء يبلغ الغاية في شدته، فالأمر بالذبح يكون لابنه الوحيد الذي وهبه على كبر، وقد بلغ معه السعي، وتعلق به قلبه أيما تعلق، ومع هذا يباشر هو الذبح بنفسه، فيتجاوز كل ذلك ، ويسمع ويطيع وينجح في امتحان الصبر بأنواعه الثلاثة، من الصبر على طاعة الله الذي أمره، والصبر عن معصيته ومخالفته فيما أمره، والصبر على أليم قدره الذي قضاه عليه .

المطلب الرابع : التوكل

التوكل على الله تعالى نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة، فالتوكل هو الاستعانة والإنابة هي العبادة[١٨٧]، قال تعالى: { **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** }

[الفاتحة: ٥]، والخلائق كلها محتاجة إلى ربها في كل أحوالها ، فإذا قصدته واعتمدت عليه وفوضت أمرها إليه كفاها ما أهمها { **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** } [الطلاق: ٣].

وقد جعله الله من دلائل الإيمان الحق فقال: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال: ٢] ، ومن صدق توكُّله على الله في حصول شيء ناله ، ومعناه (التفويض إلى الله تعالى في كل حال والثقة به والطمأنينة إليه)[١٨٩]، مع اعتبار الأخذ بالأسباب الموصلة للمقصود. وتوكل الخليل عليه السلام على ربه وتفويض أمره إليه وحسن ظنه به يظهر من قوله: {إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الصافات: ٩٩] فيخرج ومعه زوجه في رحلة مجهولة إلى بلاد غريبة، ومع هذا يعلن ثقته بربه وتوكله عليه بهدايته إلى ما فيه صلاح دينه وعاقبة الحسنى لأمره ، وما حصل له من النجاة من النار التي أججها حقد قومه عليه، وشدة رغبتهم في الانتقام منه، بعد توكله عليه وتفويض أمره إليه، وبراءته من كل أحد سواه في إنجائه من هذا الكرب، زاده ثقة ويقيناً في حفظ الله له وهدايته إلى ما تكون عاقبته رشداً .

جاء في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنه : "حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلاَمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» حِينَ قَالُوا: { **إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** } [آل عمران: ٧٣] [١٩٠]. ومما اشتهر أن جبريل عرض له حينما ألقي في النار وقال له : هل لك من حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا [١٩١]. وأما ابنه إسماعيل عليه السلام فيظهر توكله على ربه واعتماده عليه عندما قال لأبيه: { **سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** } [الصافات: ١٠٢] ، فعلق صبره بمشيئة الله تعالى ، فهو الذي يمنح الصبر ، ويربط على القلب ، ويثبت القدم ، ونسي حظ نفسه في أن تواجه هذا الكرب بالثبات والرضا ،

وهو يوقن أن من لجأ إلى حوله وقوته ووثق بنفسه ، وكله الله تعالى إليها ، فلم يفلح وباء بالخيبة والخسران .

المطلب الخامس :الدعاء

الدعاء هو العبادة ، به يظهر العبد حاجته لربه وافتقاره إليه وعدم استغنائه عنه ، { **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** } [غافر: ٦٠] وقال سبحانه: { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** } **[فاطر: ١٥].**

واللجوء إلى الله تعالى في حال العسر واليسر ، والسؤال الدائم منه هو دأب الصالحين وشعار الموحدين ، والخليل عليه السلام دائم التوجه إلى الله في قضاء حوائجه الدينية والدنيوية ، ولا يكاد يذكر في القرآن الكريم إلا ويذكر له دعاء وطلب من ربه ، فقصة الذبح تبدأ بدعاء الله تعالى بهبة الولد الصالح {**رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ**} [الصافات: ١٠٠]، فيستجيب الله تعالى له ويبشره بغلام حليم ، ولما ولد ذهب به – وهو رضيع – وبأمه إلى مكة ودعا ربه قائلا: {**رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**} [البقرة: ١٢٦]، ولما أمر ببناء البيت أخذ يدعو وابنه إسماعيل وهما يرفعان القواعد { **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)** } [البقرة: ١٢٧ – ١٢٩]، وبعد اكتمال بنيانه يكرر الدعاء والطلب { **رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ** } [إبراهيم: ٣٥] ، وفي ثنايا حواره مع قومه لإثبات وحدانية الله تعالى وكمال ربوبيته، يأتي اللجوء إلى الله تعالى ودعاؤه قائلا: { **رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ**

كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) } [الشعراء: ٨٣ – ٨٩]، والابن الصالح إسماعيل عليه السلام قد ذكر الله تعالى عنه الدعاء مع أبيه عند رفعهما القواعد ، كما مرّ في الآيات السابقة ، وما من شك أنه تربية الخليل عليه السلام الذي رباه على التوحيد الخالص والدعاء الصادق في كل الأمور والأحوال .

المطلب السادس : الإحسان

الإحسان هو لب الايمان وروحه وكماله [١٩٢]، وقد بينه الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل لما سأله عن الإحسان فقال: " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" [١٩٣]. وهذا الحديث يشير إلى كمال الحضور مع الله عز وجل ، ومراقبته الجامعة لخشيته ومحبته ومعرفته والإنابة إليه والإخلاص له ولجميع مقامات الإيمان[١٩٤]، والله تعالى قد أخبر عن محبته للمحسنين في عدة مواضع من كتابه ، وما ذكر حبه لأحد مثل ما ذكر حبه للمحسنين { **وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** } [البقرة:١٩٥]، وقال تعالى: { **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)** } [آل عمران: ١٣٤] كما بين أنه لايضيع أجرهم ، بل ويزيدهم من فضله قال سبحانه { **وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** } [يوسف: ٥٦] وقال { **وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ** } البقرة: ٥٨ ، والخليل وابنه عليهما السلام قد بلغا مرتبة الإحسان التي استحقا بها الثناء من رب العالمين ، والجزاء الأوفى عليه ، قال سبحانه بعدما صدّق الخليل رؤياه { **إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** } [الصافات: ١٠٥] أي كما أحسن الخليل وابنه الطاعة ، وبلغا بها أرفع مراتبها وأعلى منازلها ، وفرجنا عنهما الكرب بهذا الاحسان ، فإننا كذلك نجزي من أحسن في طاعتنا بنجاته من الشدائد ، وخلاصه من الكربات ، سوى ما ينتظرهم من الجزاء الأوفى في الآخرة قال تعالى { **هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ** } [الرحمن: ٦٠].

المطلب السابع : الصدق

الصدق هو روح الأعمال، ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين، وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان (١٩٥)، والله عز وجل أمر عباده المؤمنين أن يكونوا في معية الصادقين فقال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } [التوبة:١١٩]، وحقيقة الصدق استواء السر والعلانية ، ويكون في الأقوال ، وفي الأعمال باستواء الأفعال على الأمر والمتابعة ، وفي الأحوال باستواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به تكون صديقيته ، ومرتبة الصديقية هي أعلى مراتب الصدق (١٩٦) ، وقد أثنى الله تعالى على الخليل بالصدق ووصوله إلى أعلى مراتبها من الصديقية فقال : { **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا** }: [مريم :٤١] ، وأثنى على إسماعيل عليه السلام بالصدق فقال : { **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا** } [مريم: ٥٤] وفي هذه القصة تجلت صورة من **صور** الصدق في حياة هذين النبيين الكريمين عليهما السلام ، فالخليل صدق عندما تلّه للجبين وهيأ نفسه لذبحه طائعاً لربه فجاءه النداء الإلهي { **قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا** } [الصافات: ١٠٥] ، وإسماعيل صدق في موعوده بالصبر على الذبح واستسلم له وهيأ نفسه لتقبله طاعة لربه فجاء الفرج من الله تعالى بفدائه بذبح عظيم ، بل كان له وعد آخر لأبيه في معاونته على المهمة الشاقة وهي بناء البيت الحرام، فقد جاء في الأثر أن الخليل عليه السلام قال : يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَالَ: وَتُعِينُنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا"(١٩٧)، فصدق في وعده وعاونه حتى أتم بناءه، فكان حقيقاً بالثناء عليه بصدق الوعد .

خاتمة البحث

بعد هذه التأملات والتدبرات خلصت بهذه النتائج التالية :

- هجرة المؤمن من أرض السوء عسى الله أن يجعل له فرجا ومخرجا في غيرها.
- حسن الظن بالله في هداية العبد فيما فيه صلاح دينه ودنياه.
- اللجوء إلى الله تعالى في هبة الذرية وعدم اليأس من ذلك مع كبر السن وسؤال الله تعالى صلاحها واستقامتها.
- الحلم خلق كريم عزيز قل من يرزقه الله إياه.
- الحوار الهادئ اللطيف بين الآباء والأبناء للوصول إلى النتائج المرضية والقناعات الهادفة.
- مشاورة الآباء للأبناء في المهمات وإن كانوا في بداية شبابهم لتنمية عقولهم وصناعة رجولتهم وإشعارهم بأهمية آرائهم والأخذ بها في الاعتبار.
- رحمة الآباء للأبناء والتلطف معهم في الخطاب ، وتقدير الأبناء للآباء وتوقيرهم والتأدب معهم وإن عظم المطلوب وكان شاقا على النفس.
- كلما عظم إيمان العبد عظم بلاؤه ، وكلما عظم بلاؤه عظم أجره.
- الانقياد والتسليم لأمر الله تعالى لا ينفك عنه المؤمن في كل أحواله .
- رؤيا الأنبياء حق ووحي.
- الراجح الذي تشهد به الحجج أن الذبيح إسماعيل عليه السلام.
- صدق اعتماد العبد على ربه في تصبيره على النوازل التي يقدرها الله له ، وتبرؤه من حوله وقوته، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.
- عواقب الصبر على البلاء محمودة يذوق حلاوتها الصابر بعد مرارة الصبر
- الحكمة من التكاليف الابتلاء والامتثال.

- تقديم محاب الله ومراضيه على جميع المحبوبات والحرص على إرضائه وبذل الوسع في الوصول إليه.
- بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.
- الثناء العاطر الزاهر على الخليل عليه السلام في الأمم جزاء صبره على البلاءات وعبوديته الحقة لله تعالى.
- السمع والطاعة لله تعالى في جميع الأحوال ، وهي سبب في صرف النوازل والمصائب.
- ذبح الهدايا والضحايا إحياءً لذكرى الخليل عليه السلام واقتداءً به.
- جواز نسخ الحكم قبل التمكن من الفعل.
- لطف الله تعالى بعبده عند النوازل وتنفيس كربه عند اشتداده ، فالشدة بعدها الفرج والعسر بعده اليسر.
- ابتلاء الله للعبد بما شاء وكيف شاء ولا يسأل عما يفعل ، وما على العبد إلا القبول والتسليم.
- فضل الله تعالى وإحسانه لا يقتصر على أنبيائه بل هو سنة إلهية وهبة ربانية لجميع أوليائه.

**

هوامش البحث

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس للصفوري ½.

(٢) قال تعالى فيها { فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) .... } .

(٣) قَالَ تَعَالَى: { قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ } الصافات : ٩٧.

(٤) قَالَ تَعَالَى: { قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ } الأنبياء: ٦٩.

(٥) قَالَ تَعَالَى: { يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) } مريم ٤٣ ، ٤٤.

(٦) قَالَ تَعَالَى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } البقرة : ٢٥٨.

(٧) قَالَ تَعَالَى: { إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) } الأنبياء : ٥٣ – ٥٦

(٨) مفاتيح الغيب للرازي ٤٧/٢٥.

(٩) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد للطاهر ابن عاشور ٦٠/٢٣ .

(١٠) الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ١٤٩/٨ ، روح المعاني للألوسي ١٢١/١٢ ، محاسن التأويل للقاسمي ٦٩/٦.

(١١) في ظلال القرآن لسيد قطب ٢٩٩٤/٥.

(١٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ١٩/ ٥٧٦

(١٣) بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي ٣ /١٤٧ .

(١٤) جامع البيان ٧٢/٢١.

(١٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ١١٢/١٢

(١٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٤٨٤/٤.

(١٧) روح المعاني ١٢٢/١٢ .
(١٨) التحرير والتنوير ٦٢/٢٣.
(١٩) التعريفات للجرجاني ٤٥/١ ، معجم مقاييس اللغة لابن فارس [بشر] ، لسان العرب لابن منظور ([بشر] . تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي [ب ش ر] .
(٢٠) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣١٠/٤.
(٢١) روح البيان لإسماعيل حقي الخلوتي ، ٤٧٣/٧.
(٢٢) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٢٢/٣ ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ٧ /١٢٦ ، روح المعاني ١٢٢/١٢ .
(٢٣) الكشف والبيان ٢٢٥/٥ .
(٢٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩٩/١٥ .
(٢٥) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي، ٥٢٩/٣ ، الجامع لأحكام القرآن ٩٩/١٥ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي١٥/٥، مفاتيح الغيب ٣٤/٢٦ ، وغيرها من كتب التفسير .
(٢٦) مفاتيح الغيب ٣٤٥/٢٦ ، أنوار التنزيل ١٥/٥ ، إرشاد العقل السليم ١٩٩/٧ ، روح المعاني ١٢٢/١٢.
(٢٧) الوسيط ٥٢٩/٣ .
(٢٨) الوسيط ٥٢٩/٣ ، الجامع لأحكام القرآن ١٠٢/١٥.
(٢٩) جامع البيان ٧٥/٢١ .
(٣٠) جامع البيان ٧٥/٢١ .
(٣١) الكشف والبيان ١٥٦/٨ ، إرشاد العقل السليم ٢٠٠/٧ ، مفاتيح الغيب ٣٤٦/٢٦ ، أنوار التنزيل ١٥/٥ .
(٣٢) المحرر الوجيز ٤٨١/٤ ، مفاتيح الغيب ٣٤٦/٢٦ .
(٣٣) المحرر الوجيز ٤٨١/٤ ، مفاتيح الغيب ٢٦/ ٣٤٦ ، روح المعاني ١٢٣/١٢.
(٣٤) أنوار التنزيل ١٥/٥ ، روح المعاني ١٢٣/١٢.
(٣٥) أنوار التنزيل ١٥/٥ ، روح المعاني١٢٣/١٢.
(٣٦) جامع البيان ٧٥/٢١ ، أنوار التنزيل ١٥/٥.
(٣٧) قرأ بذلك حمزة والكسائي ، ينظر : التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ١٨٦.

(٣٨) معاني القرآن للفراء ٣/٣٩٠ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٣١٠ ، جامع البيان ٧٥/٢١ ، المحرر الوجيز ٤/٤٨١.

(٣٩) أنوار التنزيل ٥/١٥ .

(٤٠) روح المعاني ١٢/١٢٤ .

(٤١) السابق ١٢/١٢٤.

(٤٢) إرشاد العقل السليم ٧/٢٠٠.

(٤٣) روح المعاني ١٢/١٢٤.

(٤٤) مفاتيح الغيب ٢٦/٣٥٠.

(٤٥) جامع البيان ١٩/ ٥٨٣ ،الكشف البيان ٨/١٥٦ ، الجامع لأحكام القرآن ١٥/١٠٤ .

(٤٦) جامع البيان ١٩/ ٥٨٤ ، الكشف البيان ٨/١٥٦ ، الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١٠٤

(٤٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/٢٨.

(٤٨) لسان العرب [سلم] ، ينظر : إرشاد العقل السليم ٧/٢٠٠، مفاتيح الغيب٢٦/٣٥٠

(٤٩) الوسيط ٣/٥٣٠ ، أنوار التنزيل ٥/١٥ .

(٥٠) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/١٩٠.

(٥١) تفسير ابن كثير ٧/٦٥ .

(٥٢) المحرر الوجيز ٤/٤٨٢.

(٥٣) المحرر الوجيز ٤/٤٨٢ ، إرشاد العقل السليم ٧/٢٠١ ، روح المعاني ١٢/١٢٥.

(٥٤) الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي ١/٢١٨.

(٥٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي ٦/٣١٨.

(٥٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٣٤ ، المحرر الوجيز ٤/٤٨١ ، إرشاد العقل السليم ٧/٢٠١ .

(٥٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٣٤ ، جامع البيان ١٩ /٥٨٦ ، الكشف البيان ٨/١٥٦ ، المحرر الوجيز ٤/٤٨١ ، الجامع لأحكام القرآن ١/١٠٤.

(٥٨) المحرر الوجيز ٤/٤٨١ ، محاسن التأويل ٦/٧٠.

(٥٩) مفاتيح الغيب ٢٦ / ١٣٧ .

(٦٠) الجامع لأحكام القرآن ١٥/١٠٥ ، ١٠٦.

(٦١) مسند الإمام أحمد بن حنبل رقم (٢٧٠٧) قال محققه : رجاله ثقات رجال الصحيح غير أبي عاصم الغنوي، ولمعظم هذا الحديث طرق وشواهد يتقوى بها ٤٣٨/٤ .

(٦٢) الوسيط ٣/ ٥٣٠ ، أنوار التنزيل ١٦/٤ ، الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٧٢ ، مفاتيح الغيب ٢٦ /١٣٧ .

(٦٣) الوسيط ٥٣٠/٣ .

(٦٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ٤/ ٥٥ .

(٦٥) تفسير القرآن العزيز لأبي زَمَنِين ٤/ ٦٦ ، الوسيط ٣/ ٥٣٠ ، ونسب لمقاتل.

(٦٦) السابق ٨٧/٢١ .

(٦٧) السابق ٨٩/٢١.

(٦٨) جامع البيان ٨٨/٢١.

(٦٩) ذكر عن ابن عباس والحسن ، جامع البيان٨٩/٢١.

(٧٠) لسان العرب [وعل] .

(٧١) تفسير القرآن العظيم ٣١/٧.

(٧٢) جامع البيان ٢١/ ٩٠ ، مفاتيح الغيب ١٣٨/٢٦ عن سعيد بن جبير.

(٧٣) جامع البيان عن مجاهد ٩٠/٢١.

(٧٤) مفاتيح الغيب ١٣٨/٢٦ .

(٧٥) السابق ٢٦ / ١٣٨.

(٧٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر ٢٩/٢٢.

(٧٧) الجامع لأحكام القرآن ١١/١٥.

(٧٨) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة ١٠٤/٣ .

(٧٩) جامع البيان ٩٠/٢١ ، الجامع لأحكام القرآن ١١٢/١٥.

(٨٠) جامع البيان ٩١/٢١ .

(٨١) المحرر الوجيز ٤٧٧/٤ ، الجامع لأحكام القرآن ١١٢/١٥ .

(٨٢) روح المعاني ١٢٧/١٢.

(٨٣) الكشاف ٨٥/٤.

(٨٤) إرشاد العقل السليم ١٧٦/٧.

(٨٥) الوسيط للواحدي ٣/ ٥٢٩.

(٨٦) الجامع لأحكام القرآن ٩٩/١٥.

(٨٧) الذخيرة لأبي العباس القرافي ٤/ ١٦٠.

(٨٨) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي ٣٣١/١٦.

(٨٩) مستدرك الحاكم ٦٠٩/٢.

(٩٠) أحكام القرآن لابن العربي ٣٠/٤.

(٩١) جامع البيان ٥٩٧/١٩.

(٩٢) ينظر أصحاب هذا القول في جامع البيان ٩/ ٥٩٢ _ ٥٩٨ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١٠/ ٣٢٢٣ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي ٤/ ٣٦ ، الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١٠٠ ، تفسير ابن كثير ٧/ ٣٣ ، ٣٤.

(٩٣) لعله أبو صالح السمان الراوي عن أبي هريرة، ينظر : سير أعلام النبلاء للذهبي١٥/ ٣٦.

(٩٤) تفسير ابن أبي حاتم ١٠ / ٣٢٢٣.

(٩٥) الزهد للإمام أحمد بن حنبل ص ٣١٦.

(٩٦) مجموع الفتاوى لتقي الدين بن تيمية ٣٣١/٤-٣٣٦.

(٩٧) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٧١/١-٧٤.

(٩٨) تفسير القرآن العظيم ٢٧/٧-٣٢.

(٩٩) تفسير القرآن العزيز ٦٥/٤ .

(١٠٠) المحرر الوجيز قي تفسير الكتاب العزيز ١٩٠/٣.

(١٠١) لطائف الإشارات ٣ /٢٣٨.

(١٠٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٥/٥.

(١٠٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ١٣٢/٣.

(١٠٤) البحر المحيط في التفسير ١٨٢/٦.

(١٠٥) الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٤١/٥.

(١٠٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٦١/١٦.

(١٠٧) جامع البيان في تفسير القرآن للإيجي ٤٥٢/٣.

(١٠٨) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ٢١٩/٢.

(١٠٩) فتح الرحمن في تفسير القرآن ٢٥٩/٤.

(١١٠) السراج المنير للشربيني ٣٨٥/٣.

(١١١) إرشاد العقل السليم ٢٠٠/٧.

(١١٢) روح المعاني ١٣٠/١٢.

(١١٣) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ٢١٢/١٢.

(١١٤) تفسير المراغي ٧٧/٢٣.

(١١٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٧٠٥/١.

(١١٦) التحرير والتنوير ١٤٩/٢٣.

(١١٧) أضواء البيان ٣١٧/٦ ، ٣١٨.

(١١٨) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٢٥٧–٢٦٠.

(١١٩) زهرة التفاسير ٤٦٥٩/٩.

(١٢٠) تفسير الشعراوي – الخواطر لمحمد متولي الشعراوي ٩١٢٣/١٥.

(١٢١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ــ١٦ /١١٧.

(١٢٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ٤١٩/٤.

(١٢٣) صفوة التفاسير ٣٧/٣.

(١٢٤) قاله الألوسي في روح المعاني ١٢/ ١٢٨ ، قال الحاكم في المستدرك ٦٠٨/٢ ما نصه : (وقد كنت أرى مشايخ الحديث قبلنا وفي سائر المدن التي طلبنا الحديث فيه وهم لا يختلفون أن الذبِيح إسماعيل).

(١٢٥) تفسير المراغي ٢٣ / ٧٦.

(١٢٦) أخرجه الحاكم في المستدرك في (ذكر إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما) رقم ٤٠٣٦ ، وقال عنه الذهبي إسناده واه ٦٠٤/٢ ، وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ٥٩٧/١٩ ، وقال ابن كثير في تفسيره ٣٥/٧ معلقا عليه: وهذا حديث غريب جدا .

(١٢٧) حديث لا أصل له ، قاله الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٥٠٠/١.

(١٢٨) مفاتيح الغيب ٣٤٧/٢٦ ، مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٣٥/٤ ، زاد المعاد ٧١/١ ، أضواء البيان ٣١٨/٦ ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن ، لمحمد صديق خان القِنَّوجي ٤٠٨/١١ (١٢٩) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ١٨٥/٢ .

(*) الفصول المفيدة في الواو المزيدة للعلائي ص ١٤٠ .

(١٣٠) زاد المعاد ٧٢/١ ، تفسير ابن كثير ٣٥/٧ ، أضواء البيان ٣١٨/٦ .

(١٣١) مفاتيح الغيب ٣٤٧/٢٦ ، مجموع الفتاوى ٣٣٤/٤ ، فتح البيان ٤٠٨/١١.

(١٣٢) مفاتيح الغيب ٣٤٧/٢٦ ، زاد المعاد ٧١/١.

(١٣٣) كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري نقلا عن تقي الدين السبكي لمحمَّد الخَضِر الشنقيطي ٤/ ٢١٧،٢١٨ الإكليل في استنباط التنزيل ٢١٨/١ .

(١٣٤) الجامع لأحكام القرآن ١١٣/١٥، وهذا استنباط بديع قائم على المخالفة في مرجعية الضمائر.

(*) وهذا مسلك دقيق في الاستنباط مستند على ما تفيده حروف العطف ، ووجه ذلك – والله أعلم – أن العطف بالفاء يفيد التعقيب مما يدل على أن الهبة لم تكن من الهجرة ببعيد، وأما هناك فكان العطف بالواو الذي يدل على مطلق الجمع فحسب ولو كانت الهبة بعد الهجرة بزمن بعيد لاسيما وأنه عطف عليه الهبة بابنه يعقوب عليه السلام .

(١٣٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ١٤/ ٤٢٦.

(١٣٦) زاد المعاد ٧٣/١.

(١٣٧) مسند الإمام أحمد بن حنبل رقم ٢٣٢٢١ ، واللفظ له ، وقال محققه إسناده صحيح، سنن أبي داود ، باب في دخول الكعبة رقم ٢٠٣٠ ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٢٦٩/٦ .

(١٣٨) مفاتيح الغيب ٢٦/ ٣٤٧ ، مجموع الفتاوى ٣٣٥/٤، زاد المعاد ٧٣/١.

(١٣٩) الجامع لأحكام القرآن ١٠٠/١٥.

(١٤٠) لم أعثر على أثر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم – ولو ضعيفا – بأن الله أمره بالهجرة بهاجر وابنها إلى مكة بسبب غيرة سارة منها ، وغاية ما وجدته أن المؤرخين والمفسرين يذكرونه بلا سند ، فابن كثير– مثلا – يذكره في البداية والنهاية ١/ ١٧٧، قائلا (وَالْمَقْصُودُ أَنَّ هَاجَرَ عَلَيْهَا السَّلَامُ لَمَّا وُلِدَ لَهَا إِسْمَاعِيلُ اشْتَدَّتْ غَيْرَةُ سَارَةَ مِنْهَا وَطَلَبَتْ مِنَ الْخَلِيلِ أَنْ يُغَيِّبَ وَجْهَهَا عَنْهَا فَذَهَبَ بِهَا وَبِوَلَدِهَا ....)، والقرطبي في تفسيره ٣٧٠/٩ يقول: (وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ سَارَةَ لَمَّا غَارَتْ مِنْ هَاجَرَ بَعْدَ أَنْ وَلَدَتْ إِسْمَاعِيلَ خَرَجَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مَكَّةَ.......)، ولعل ذلك مما اشتهر بين الناس عن طريق أهل الكتاب ، وقد يستأنس في ذلك ويوحي بصحته ما جاء في صحيح البخاري ٤/ ١٤٢ عن ابن عباس (أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ المِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ .....)، والله أعلم.

(١٤١) زاد المعاد ١/١٧٤ .

(١٤٢) ينظر: أصحاب هذا القول في جامع البيان ٩/ ٥٨٧ – ٥٩٢ ، تفسير ابن أبي حاتم ١٠ / ٣٢٢٠ – ٣٢٢٤ ، مستدرك الحاكم ٢/٦٠٩ ، بحر العلوم ٣/ ١٤٧ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن ٣٦/٤ ، الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٩٩ ، ١٠٠ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٣٢ ، ٣٣ ، روح المعاني ١٢/ ١٢٩.

(١٤٣) الذخيرة ٤/ ١٦٠.

(١٤٤) إعراب القرآن لأبي جعفر النَّحَّاس ٣/٢٩١ .

(١٤٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ٣/٢٩١.

(١٤٦) التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام للسهيلي ص ٢٧٢ .

(١٤٧) جامع البيان ١٩/٥٩٨ .

(١٤٨) الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١٠٠ .

(١٤٩) الوسيط ٣/ ٥٢٩ .

(١٥٠) لباب التأويل في معاني التنزيل ٤/٢٢.

(١٥١) أخرجه الطبري في تفسيره ٢١ / ٨٠ ، قال ابن كثير : لم يصح سنده ٧/٣٣، وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث عبدالله ابن مسعود في باب ذكر من قال إن الذبيح إسحاق رقم (٤٠٤٧) ،٢/ ٦٠٩ وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، وتعقبه الذهبي بقوله : قال أبو داود سنيد لم يكن بذاك.

(١٥٢) المعجم الأوسط لأبي القاسم الطبراني رقم (٦٩٩٤) ، قال ابن كثير في تفسيره ٧/٣٠ : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مُنْكَرٌ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ضعيف.

(١٥٣) جامع البيان ١٥/٥٩٨ ، التعريف والإعلام ص ٢٧٢ ، الجامع لأحكام القرآن ١٥/١٠١ .

(١٥٤) الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١٠١ ، فتح البيان ١١/٤٠٨ .

(١٥٥) التعريف والإعلام ص٧٤ ، مفاتيح الغيب ٢٦/٣٤٨ ، الجامع لأحكام القرآن ١٥/١١٢.

(١٥٦) التعريف والإعلام ص ٢٧٢ .

(١٥٧) جامع البيان ١٩/٥٩٩ ، الجامع لأحكام القرآن ١٥/١٠١ .

(١٥٨) الجامع لأحكام القرآن ١٥/١٠١.

(١٥٩) قرأ بفتح الباء ابن عامر وحمزة وحفص ينظر: التيسير في القراءات السبع للداني ص ١٢٥ .

(١٦٠) التعريف والإعلام ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(١٦١) وهي قراءة الأكثر باستثناء ابن عامر وحمزة وحفص ينظر : التيسير في القراءات السبع ص ١٢٥.

(١٦٢) زاد المعاد ٧٢/١.

(١٦٣) جامع البيان ٥٩٨/١٩ ، التعريف والإعلام ٢٧٤ ،الجامع لأحكام القرآن ١٠١/١٥.

(١٦٤) زاد المعاد ٧٢/١ .

(١٦٥) جامع البيان ٥٩٨/١٩ ، الجامع لأحكام القرآن ١٠١/١٥ .

(١٦٦) الجامع لأحكام القرآن ١٠١/١٥.

(١٦٧) جزء من أثر طويل عن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه البخاري برقم (٣٣٦٢).

(١٦٨) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية ٢ /١٤٧.

(١٦٩) تفسير القرآن العظيم ١/ ٤٤٦.

(١٧٠) السابق ٤٠٥/١ .

(١٧١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ــ١٠٤/١.

(١٧٢) مفاتيح الغيب ٤/ ٣٥.

(١٧٣) أخرجه البخاري باب قول الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلا) رقم ٣٣٦٤.

(١٧٤) أخرجه مسلم ، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب رقم (٢٦٠٨).

(١٧٥) الكليات للكفوي ١ /٤٠٤ .

(١٧٦) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ١ /٢٩٤ .

(١٧٧) المحرر الوجيز ١٩٢/٣ .

(١٧٨) جامع البيان ٥٣٢/١٤ .

(١٧٩) مفاتيح الغيب ٢٦/ ٣٤٦) .

(١٨٠) إرشاد العقل السليم ١٩٩/٧ .

(١٨١) مدارج السالكين ١٥١/٢.

(١٨٢) أخرجه مسلم في صحيحه في (بَابُ الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ) برقم (٢٩٩٩) .

(١٨٣) مدارج السالكين ٢/١٥١ .

(١٨٤) مفاتيح الغيب ٢٠/٢٨٣.

(١٨٥) أنوار التنزيل ٣/٢٤٤.

(١٨٦) قاعدة في الصبر لتقي الدين ابن تيمية ص ٩٤.

(١٨٧) مدارج السالكين ٢/١١٤.

(١٨٩) مجموع من تعريفين نقلهما ابن القيم في مدارج السالكين ٢/ ١١٥، ١١٧.

(١٩٠) صحيح البخاري ، باب إن الناس قد جمعوا لكم برقم (٤٥٦٣) .

(١٩١) شعب الإيمان لأبي بكر البيهقي٢/٢٨ عن بشر بن الحارث .

(١٩٢) مدارج السالكين ٢/٤٢٩ .

(١٩٣) رواه البخاري في (بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلاَمِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ) برقم (٥٠)، وأخرجه مسلم في (بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، الْقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ) برقم (١).

(١٩٤) مدارج السالكين ٢/٤٣٠ .

(١٩٥) السابق ٢/٢٥٧.

(١٩٦) السابق بتصرف ٢/ ٢٥٨، ٢٦٢.

(١٩٧) جزء من أثر طويل عن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه البخاري برقم (٣٣٦٢) .

**

فهرس المصادر والمراجع

م	اسم المرجع
	القرآن الكريم.
١	إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢	الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ) الناشر: مكتبة السنة ، الطبعة: الرابعة.
٣	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت – لبنان ، عام النشر : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.
٤	الإكليل في استنباط التنزيل لجلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.
٥	أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
٦	أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبى بكر الجزائري الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الخامسة ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٧	بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى:٣٧٣هـ).
٨	البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي ت ٧٤٥هـ المحقق: صدقي محمد جميل ، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
٩	تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبى الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) الناشر: دار الهداية .

١٠	التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس ، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
١١	التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام لعبد الرحمن السهيلي المتوفى ٥٨١هـ ، تحقيق عبدالله محمد علي النقراط ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢ م ، ١٤٠١ هـ.
١٢	التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
١٣	تفسير الشعراوي – الخواطر لمحمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) الناشر: مطابع أخبار اليوم.
١٤	تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة النشر: ١٩٩٠ م.
١٥	تفسير القرآن العزيز لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين ت ٣٩٩هـ) المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
١٦	تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (المتوفى: ٣٢٧هـ) المحقق: أسعد محمد الطيب ، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ .
١٧	تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م .

١٨	تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦ م.
١٩	التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لوهبة بن مصطفى الزحيلي ، الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ.
٢٠	التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب عام النشر: ١٣٨٧ هـ.
٢١	التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠ م.
٢٢	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
٢٣	التيسير في القراءات السبع لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبى عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ) المحقق: اوتو تريزل الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٢٤	جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبى جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢٥	جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (المتوفى: ٩٠٥هـ) دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

٢٦	الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه لمحمد بن إسماعيل أبى عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة
٢٧	الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ،الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م .
٢٨	الذخيرة لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ)المحقق: محمد حجي ، سعيد أعراب ، محمد بو خبزة ، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٩٩٤ م.
٢٩	روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبى الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) الناشر: دار الفكر – بيروت.
٣٠	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
٣١	زاد المعاد في هدي خير العباد ، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ،الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.
٣٢	الزهد لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٣٣	زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) دار النشر: دار الفكر العربي.
٣٤	السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ) الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة ، عام النشر: ١٢٨٥ هـ.

٣٥	سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) دار النشر: دار المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية ،الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
٣٦	سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت
٣٧	سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ) المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
٣٨	شعب الإيمان لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبي بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.
٣٩	الشفا بتعريف حقوق المصطفى لعياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، أبى الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ) الناشر: دار الفيحاء – عمان الطبعة: الثانية – ١٤٠٧ هـ.
٤٠	صحيح أبي داود لمحمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢.
٤١	صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني ، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
٤٢	فتحُ البيان في مقاصد القرآن ، لمحمد صديق خان بن حسن بن علي الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري ، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيَدَا – بَيروت ، عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.
٤٣	فتح الرحمن في تفسير القرآن لمجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: ٩٢٧ هـ)اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب ، الناشر: دار النوادر الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

٤٤	الفصول المفيدة في الواو المزيدة لصلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي (المتوفى: ٧٦١هـ) المحقق: حسن موسى الشاعر الناشر: دار البشير – عمان الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
٤٥	الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية لنعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: ٩٢٠هـ) الناشر: دار ركابي للنشر – الغورية، مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.
٤٦	في ظلال القرآن لسيد قطب دار الشروق ،الطبعة ألحادية والعشرون ١٤١٤هـ – ١٩٩٣ م.
٤٧	قاعدة في الصبر لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي ، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة: العدد ١١٦ – السنة ٣٤، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م .
٤٨	الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت الناشر: مكتبة الرشد – الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
٤٩	الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.
٥٠	الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبى البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) المحقق: عدنان درويش – محمد المصري الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.
٥١	كوثَر المَعَاني الدَّرَاري في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري ، المؤلف: محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٥٤هـ) ،الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.
٥٢	لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي أبى الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) تصحيح: محمد علي شاهين ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى ، ١٤١٥ هـ .

٥٣	اللباب في علوم الكتاب لسراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٥هـ)المحقق: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م .
٥٤	لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبى الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صدر - بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ .
٥٥	مجموع الفتاوى لتقي الدين أبوى العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٥٦	محاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود ، الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
٥٧	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد ،الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
٥٨	مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد و إياك نستعين ، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
٥٩	مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي ، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٦٠	المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠.

٦١	مسند الإمام أحمد بن حنبل لأحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٦٢	المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٦٣	معالم التنزيل في تفسير القرآن لمحيي السنة ، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ) المحقق : عبد الرزاق المهدي الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ.
٦٤	معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ) المحقق: أحمد يوسف النجاتي وزملاؤه ، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر ، الطبعة: الأولى.
٦٥	معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل، أبي إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) المحقق: عبد الجليل عبده شلبي ، الناشر: عالم الكتب - بيروت ، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٦٦	المعجم الأوسط لسليمان بن أحمد اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني الناشر: دار الحرمين - القاهرة.
٦٧	معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر:دار الفكر ، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٦٨	مفاتيح الغيب لمحمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
٦٩	نزهة المجالس ومنتخب النفائس المؤلف: عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري (المتوفى: ٨٩٤هـ) الناشر: المطبعه الكاستلية - مصر عام النشر: ١٢٨٣هـ.

٧٠	النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.
٧١	الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وزملاؤه الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

* * *